حَسْبَمَا
يُحِلِّقُ الإِوَزُ

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَةٌ ©

اسم الكتـــاب: حسبما يحلق الإوز
تـأليـــــف: كاثرين بايل
ترجمـــــة: د. نيفين القصبي
تصميم داخلي: الباشا عبد الباسط
النـاشـــــر: دار الزيات للنشر والتوزيع

القـطـــع: 21X14
سنـة النشـر: 2024

تم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية برقم: 10249 / 2024
الترقيم الدولي (ISBN): 978 - 977 - 844 - 502 - 2

دار الزيات للنشر والتوزيع
المشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم/ 49351

ت: 01066736765 - 01015766014 / shahnda71@gmail.com

حسبما يُحلّق الإوز

تأليف ورسومات:

كاثرين بايل

ترجمة وتقديم:

د. نيفين القصبي

کاثرین بایل (1863–1938)

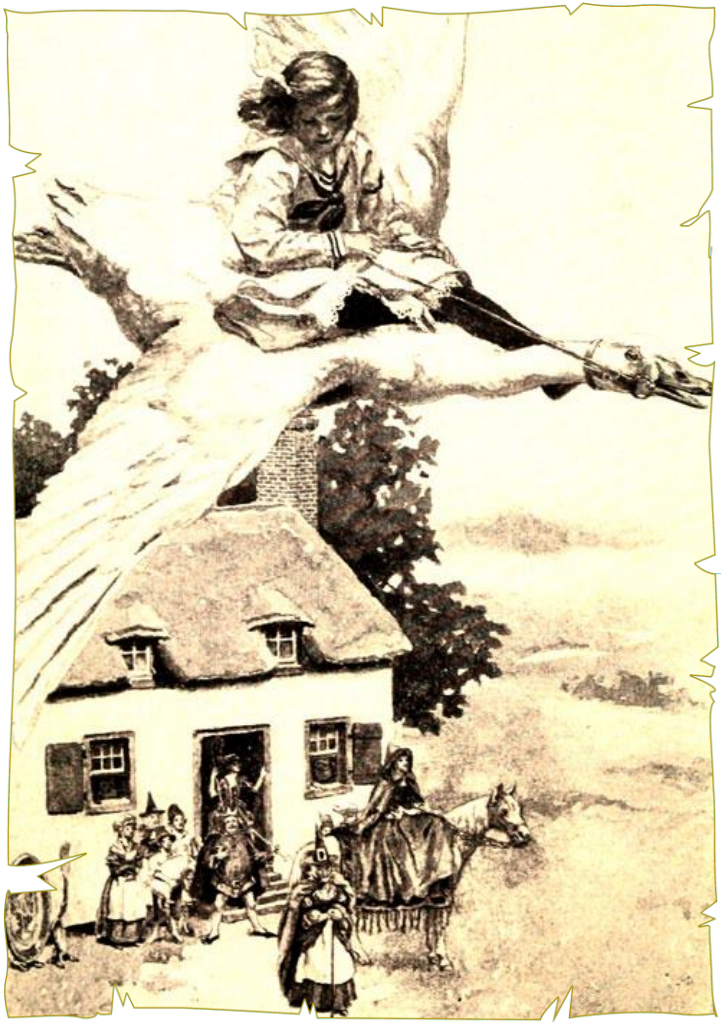

وحلق ذكر الإوز بعيدًا في اتجاه طيف الغابة المعتم

الفهـرس

مقدمـــة 12

الفصل الأول: « خلف خزانة الكتب » 16

الفصل الثاني: « ما وراء الحائط » 20

الفصل الثالث: « الخنازير الخمسة الصغيرة والماعز » 28

الفصل الرابع: « في عنان فضاء السحاب » 46

الفصل الخامس: « بيت الأقزام الصغار السبعة » 57

الفصل السادس: « الذئب الأشهب الضخم » 72

الفصل السابع: « المصباح السحري » 82

الفصل الثامن: « بيت الرجل ذي اللحية الزرقاء » 97
الفصل التاسع: « ما وراء الضباب » 106
الفصل العاشر: « في منزل غريبي الهيئة » 120
الفصل الحادي عشر: « الأميرة ذات الشعر الذهبي » 136
الفصل الثاني عشر: « العودة للبيت » 151

قائمـة الرسومـات

- وحلق ذكر الإوز بعيدًا في اتجاه طيف الغابة المعتم 7
- وقفت إيلين بمحاذاة النافذة المطلة على الحديقة 15
- وعلى الفور غطت السيدة عينيها بيدها ونظرت عاليًا نحو السماء 21
- وأخبرتها الأم إوزة كيف تفعل ذلك 25
- ورأت إيلين أن تلك الدُمى الصغيرة هي الأكثر بهاءً على الإطلاق. ... 36
- ولكن عيناها التي بدأت تعتاد على هذا الظلام أبصرت ماعزًا ضخم البنية وفي غاية القبح 42
- وأخذ الحبل ينسدل بين أيدي ذكر الإوز وإيلين 54
- وكان القزم الصغير يقف هناك ويمسك بملعقة خشبية كبيرة 58
- وصاح ذكر الإوز بصوتٍ حادٍ في أذانهم وأوسعهم ضربًا بجناحيه لدرجة أنهم لم يعرفوا من الذي يتعقبهم 68
- ورأت ذئبًا أشهبًا وضخمًا يقف على مقربة منها 73
- وفرد ذكر الإوز جناحيه وحلَّق بأقصى ما لديه من سرعة 79
- وطرح العبيد أنفسهم أرضًا أمامها 83
- وظهر أمامها جني أسود ذو هيئة مرعبة 91

- وصعدت إيلين على ظهر ذكر الإوز، وهكذا استطاعت بالكاد تصل إلى طراقة الباب 100
- وقربت إيلين البوق من شفتيها ونفخت فيه 108
- ولكنه ظل يهمس في أذنه 111
- التنين الضخم ينام مُستلقيًا في ممر صخري 114
- ورأت رجلًا طويلًا وذي هيئة غريبة، يرتدي ملابس باللونين الأخضر والأصفر 121
- وبخجل أمسكت الفتاة الصغيرة بيدها الباردة 134
- وانحنى الحوريّ أمامها وأمسك بطرف الثوب 140
- وأمسك الحوريّ بعصاة السحرية وأشار بها نحو الملكة 147
- ووضعت إيلين أذنها على الحائط الذهبي 154

مقدمــة

تسرد الكاتبة كاثرين بايل مغامرة الطفلة إيلين في كتابها "حسبما يُخلق الإوز" (1901)، وهو يُعد علامة هامة من علامات أدب الطفل ويُبرز مدى ثقافة الكاتبة ومُحاكاتها لغيرها من الكُتّاب على رأسهم الكاتب لويس كارول وروايته الشهيرة "أليس في بلاد العجائب"، والكاتب جوناثان سويفت وكتابه "رحلات جلفز" وتستعرض الكاتبة أحداث رحلة خيالية قامت بها إيلين التي تتوق للعيش في عالم القصص التي تقصها جدتها عليها، وكيف أنها اخترقت حائط غرفة الأطفال المُطلة على الحديقة لتقوم برحلتها لمنزل غرباء الهيئة وذلك للبحث عن قصة "ذات الشعر الذهبي" التي لم تعد تذكر جدتها نهايتها. وقد قامت برحلتها الشيقة على متن ذكر الإوز الذي تقول الكاتبة بايل عنه أنه رفيق "الإوزة الأم" وهي بذلك تُشير إلى الشخصية الرئيسية في كتاب يُعرف باسم "حكايات الإوزة الأم" (1669) للكاتب شارل بيرو وهو كتاب ذائع الصيت ويجمع الكتاب مجموعة من أهم قصص الأطفال الشهيرة التي نعرفها حتى يومنا هذا ومنها "سندريلا" و"الجمال النائم" و"ذات الرداء الأحمر"، وهكذا يتضح للقارئ، بما لا يدع مجالًا للشك، أن الكاتبة أرادت أن تُقدِّم رسالة هامة وهي أن بناء القصة لا يمكن أن ينفصل عن التراث القصصي وذلك من خلال استخدام أسلوب التناص المعروف. ولذلك فقد قامت الكاتبة بتضمين عدة قصص

شهيرة داخل نصها الأصلي في إشارة صريحة منها لاستخدام أسلوب التناص في سردها لمغامرة الطفلة إيلين التي كانت تلتقي بأبطال تلك القصص وتقدم العون لهم وكأن إيلين هي نفسها الكاتبة بايل التي تُحاكي الشخصيات المختلفة في تلك القصص وتعمل على تغيير النهايات المعهودة وحل الأزمات التي واجهت أبطال القصص؛ فعلى سبيل المثال في الفصل الرابع وهو بعنوان "في عنان السماء" أشارت بايل إلى قصة بعنوان "بتلات جاك وحبة الفاصولياء المسحورة" وكيف أن إيلين قدّمت يد العون لزوجة العملاق فقد ساعدتها على ترك بيت زوجها الذي كانت تعيش فيه أسيرة ووحيدة بعد موته ودبرت لها طريقة للهبوط إلى الأرض ومغادرة تلك المملكة العجيبة التي كانت تعيش بها وتقع في أعالي السماء.

كما قامت الكاتبة باستخدام أسلوب التناص من خلال سرد أحداث القصص المعروفة وإدخال إيلين في عوالم تلك القصص وجعلها تتفاعل مع هؤلاء الأبطال كما حدث مثلًا في الفصل الخامس وهو بعنوان "بيت الأقزام الصغار السبعة" والذي تسرد فيه قصة "سنووايت" المعروفة وهي بعنوان "الوردة الحمراء والأمير الدب"؛ فقد التقت إيلين مع الأقزام السبعة وساعدتهم على الخلاص من المكائد التي يقوم بها الأقزام الذين يعيشون في باطن الأرض ضدهم. وقد نجحت بايل في خلق علاقة متناغمة بين إيلين والأقزام السبعة فقد ساعدتهم الطفلة على التخلص من هجمات الأقزام الشريرة على بيتهم وذلك من خلال عمل دُمية مخيفة على شكل خيال المآتة وهم بدورهم قاموا بمساعدتها

للاستدلال على الطريق إلى منزل غرباء الهيئة وذلك من خلال متابعتها لحركة أوراق الأشجار. وفي الفصل السادس أرادت الكاتبة أن تقدِّم لنا نموذج إيلين الطفلة القوية التي نجحت على عكس ذات الرداء الأحمر في فهم طبيعة الذئب الشريرة وأنه لا يسعى سوى لالتهامها هي وذكر الإوز، ولذلك فقد نجحت في الخلاص منه وسجنه داخل قفص حديدي، وهكذا قامت بايل بتذكير القارئ بشخصيات معروفة في أدب الطفل مثل علاء الدين ومصباحه العجيب في الفصل السابع وبسرد القصص بصورة كاملة كما فعلت في الفصل الحادي عشر والذي خصصته بالكامل لقصة "ذات الشعر الذهبي" وذلك كي تؤكِّد على رسالة واحدة وهي أن صناعة أدب الطفل لا يمكن أن تنفصل عن الموروث الأدبي والثقافي للفرد. وقد أكدت على تلك الرسالة في الفصل العاشر وذلك من خلال لقاء إيلين بالسيدة ذات الهيئة الغريبة وتأملها لها وهي تقوم بإعادة بناء قصة "ذات الشعر الذهبي" وذلك باستخدام أجزاء مختلفة من ما يُعرف "بالنوادر العجيبة" أو القصص السابقة لإتمام تلك المهمة، وهكذا فقد نجحت الكاتبة في خلق رابطة بينها وبين غيرها من الكتّاب والكاتبات وذلك عن طريق مُحاكاة أعمالهم الأدبية أثناء سردها لمغامرة الطفلة إيلين التي لا تخلو من عنصر الإثارة والتشويق.

د. نيڤين القصبي

وقفت إيلين بمحاذاة النافذة المطلة على الحديقة

الفصل الأول:

« خلف خزانة الكتب »

وقفت إيلين بمحاذاة النافذة المُطلة على الحديقة والمواجهة للسماء الرمادية وأغصان الأشجار المتمايلة والمُبللة بالماء. كان الجو ماطرًا وعاصفًا طيلة اليوم. وشلالات المياه تتدفق وتسري بثبات في قنوات تصريف مياه الأمطار بالعلية، وأزهار الليلك تتدلى من ثقل حبات المطر، والطائر المحلِّق عاليًا في السماء يحاول أن يشق طريقه عكس اتجاه الرياح كي يعود للبيت.

ولكن إيلين لم تكن تأبه لأي شيءٍ من هذا القبيل فقد كانت تُفكِّر في تلك القصة التي نسيتها جدتها من جديد.

كانت جدة إيلين، وهي امرأة عجوز وطاعنة في السِّن، غالبًا ما تُلقبها بأسماء أطفالها الصغار، وهم منهم من كبر ومنهم من توفى منذ سنوات وسنوات عديدة مضت. وكانت تبلغ من الكِبَر عتيًا إلا أنها تتذكر أمورًا وقعت منذ سبعين سنة قد خلت، ولكنها أيضًا كانت تنسى أمورًا عديدة وكثيرة حتى تلك الأحداث التي وقعت منذ دقائق معدودة؛ فعلى سبيل المثال أحيانًا ما كانت تنسى أين هي نظارتها الطبية بينما هي مُعلَّقة خلف رأسها. وفي معظم الأوقات كانت تنسى تلك الحكايات التي تحاول أن تقصها على إيلين؛ فقد كانت عادةً ما تتوقف عند نقطة معينة شيقة، ثم ترفع نظارتها فوق رأسها وتنظر بشرود من حولها وتقول: "لقد نسيت ما حدث بعد ذلك".

وكثيرًا ما كانت إيلين تمد لها يد العون وتقول: "لماذا يا جدتي؟ ألا تذكرين صوت ذلك الدب الصغير الحاد والأجش لدرجة أنه قد أيقظ ذات الشعر الفضي في الحال؟ وأنها عندما فتحت عينيها رأت الدببة الثلاث". "ألا تتذكرين لماذا أمسك جاك بالدجاجة الذهبية عندما رأى العملاق وهو يغط في النوم؟" وهكذا كانت الفتاة الصغيرة تمضي وتُكمل القصة لجدتها العجوز.

إلَّا إنه كان هناك قصة لم تستطع إيلين أن تُكملها لجدتها؛ فهي لم تسمع بها من قبل أو تعرف نهايتها. وهي عن أميرة صغيرة تُدعى ذات الجدائل الذهبية التي كانت ترتدي دومًا قبعة سوداء على شعرها الجميل اللامع وكان لديها زوجة أب شريرة.

وفي كل مرّة كانت الجدة تنخرط في رواية القصة ثم تتوقف عندما كانت ذات الجدائل الذهبية تُمشط شعرها ليلًا وبمفردها في المطبخ. وعندما تصل لهذه النقطة كانت تقول: "حسنًا"، تُرى ما الذي حدث بعد ذلك؟ ما الذي حدث يا صغيرتي كلارا؟ ألا تتذكرين؟ لقد مضى وقت طويل منذ أن رويت هذه القصة". كانت الجدة غالبًا ما تُلقب إيلين باسم كلارا.

وكانت الفتاة الصغيرة تحاول بين الفينة والأخرى أن تضع نهاية للقصة، ولكن جدتها كانت تهز رأسها على الدوام وهي تصرح: "لا، لا. إنها ليست كذلك. تُرى ماذا كانت؟ ماذا كانت؟ آهٍ، يا ليتني أستطيع أن أتذكر".

ولطالما شعرت الجدة بالقلق والاضطراب إذ إن إيلين دائمًا ما كانت تشعر بالأسى لأنها قد انخرطت في رواية هذه القصة، حتى أن الجدة العجوز كادت أن توشك على البكاء في أحيانٍ كثيرةٍ.

وفي تلك الأثناء كانت الطفلة تقف وتُمعن النظر في ذلك الأفق المطير خارج النافذة وتسرح بخيالها في القصة مما جعل جدتها تشعر بالتعاسة طيلة اليوم إذ إن إيلين لم تأتِ للحديث معها ولم تُفكر في أي شيءٍ آخر.

وكان البيت في سكونٍ تامٍ وقت الظهيرة؛ فالأم كانت مُنشغلة في غرفة الحياكة والجدة مُستغرقة في قيلولتها والخادمة تُدندن للطفل بلغة شجية في الغرفة المقابلة للصالة.

ذهبت إيلين إلى النافذة المُطلة على الحديقة لتأخذ كتاب الأناشيد الذي ستقرأه بصوتٍ عالٍ على والدتها. وفي تلك الأثناء خطر على بالها وهي في طريق عودتها من النافذة أن تقوم بترتيب خزانة الكتب، وذلك قبل أن تهبط للأسفل نحو غرفة الحياكة؛ لأن هذ هو ما يجب أن تقوم به في يومٍ مطير كهذا.

وهكذا فقد جلست أرضًا في مقابل الأدراج وأخذت تجذب الكتب للخارج من هنا وهناك؛ فتفتح إحداها كي تتأمل صورة أو لتفرد ورقة مطوية للدلالة على إشارة مرجعية.

كانت جدران الغرفة المُطلة على الحديقة مُغطاة بورق حائطي مُزيَّن بالورد ولكن إيلين قد لاحظت أثناء قيامها بإفراغ الرفوف تمامًا من الكتب أن الغلاف

الحائطي خلف تلك الأدراج له لون يختلف عن باقي جدران الغرفة؛ فهو لا يتبدد كما هو الحال مع اللون الأزرق بين ثنايا عناقيد الكروم الذي يتلاشى بلمسة واحدة.

وضعت إيلين يدها خلف الأدراج كي تتحس الحائط.

وقد توقعت أن تلمس حائطًا صلبًا وباردًا ولكنها وجدت يدها تندس مباشرةً بين أوراق الكروم وكأنه لا من حائطٍ هناك.

نهضت إيلين على ركبتيها ومدت يديها مباشرةً عبر الرف؛ فوجدت أنها تستطيع أن تُنحي عناقيد الكروم جانبًا كما لو كانت حقيقية وأدركت للتو أنها قد أخذت نظرة خاطفة على السماوات وما يحيط بها من أشجار.

وسرعان ما وقفت إيلين على قدميها وأزاحت إحدى جوانب خزانة الكتب كي تندس خلفها.

وأمسكت بعناقيد الكروم على ورق الحائط ونحّتها جانبًا ثم خرجت مباشرة عبر الحائط إلى العالم الخارجي الموجود خلفه.

الفصل الثاني:

« ما وراء الحائط »

لم تكن تمطر إطلاقًا وراء الحائط؛ السماء البعيدة كانت رائعة ومعتدلة، فلا هي مشمسة ولا غائمة. المرج الأخضر الكثيف يمتد من أمامها وطيف الغابة المُعتم يتراءى من بعيد.

كان هناك بيت صغير تمامًا عند سفح المرج. وكان هذا البيت الصغير يبدو غريبًا لدرجة أن إيلين اقتربت لتُلقي نظرةً عليه؛ فالبيت لم يكن راسخًا على الأرض ولكنه كان مرتكزًا على أرجل الطير الأربعة وبالتالي فإنك تستطيع أن ترى بوضوح أسفل البيت والسقف كان مغطى بريشٍ لامعٍ يتداخل بعضه في بعض كما لو أنه ذلك الريش المرصوص على ظهر البط. وكان ذكر الإوز الأبيض الضخم مربوطًا بلجام في عمودٍ بجانب الباب تمامًا كالحصان.

بينما كانت إيلين تقف وتحدق بكلتا عينيها نحو البيت وذكر الإوز، إذ بالباب ينفتح لتخرج منه سيدة عجوز قصيرة ذات حذاء مربوط بإبزيم ومريول أبيض فوق عباءتها وقبعة مدببة على هيئة طرطور فوق رأسها. أخذت تخطو وتنظر من حولها كما لو أنها تستمتع بالهواء النقي.

وعلى الفور غطت السيدة عينيها بيدها ونظرت عاليًا نحو السماء ثم نظرت في اتجاه المروج حتى وقعت عينيها على الفتاة الصغيرة التي تقف هناك وتحدق إليها؛ فأخذت السيدة العجوز تحدق هي الأخرى وتصرح:

"حسنًا، أكاد أجزم أنها فتاة صغيرة. ماذا تفعلين هنا أيتها الطفلة؟"

"أنا أنظر إلى بيتكِ فقط لا أكثر".

"ولكن كيف جئتِ إلى هنا؟"

"لقد جئت عبر حائط غرفة الأطفال المطلة على الحديقة؛ فأنا لم أكن أعرف أنه شفافًا من قبل".

وعلى الفور غطت السيدة عينيها بيدها ونظرت عاليًا نحو السماء

وبينما إيلين والسيدة العجوز تتحدثان، إذ بمجموعة من الأقزام الصغار والغريبي الهيئة يخرجون من البيت ثم أخذوا يصطفون حول بعضهم في جمهرة ويحدقون بقوة، وكانوا في غاية الغرابة لدرجة أن إيلين بدأت تشعر ببعض الخجل. وأخذوا يخرجون ويتجمعون لدرجة أنها تساءلت كيف لهذا البيت أن يجمعهم على بكرة أبيهم.

وكان هناك فتى صغير يحمل بذراعيه خنزيرًا ويصيح بحدة بين الحين والآخر. وخادمة ترتدي قبعة ومريولًا وأكمامها تعج بأشياءٍ ثقيلة ومنبعجة لدرجة أن خياطة الأكمام كادت أن تتفتق من ثقلها وتحمل صرّة منبعجة هي الأخرى وملعقة على جانبها وكلما مشت كانت تصطدم بها. اقتربت تمامًا من إيلين، فأيقنت من الرائحة أن تلك الأشياء في أكمامها وصرتها ما هي إلا برتقالات. وكان هناك شخص أدركت إيلين من التاج الذي كان يرتديه فوق رأسه أنه لا بُدّ أن يكون ملكًا. وكان بهي الطلعة ويمسك بغليون في إحدى يديه وبصولجان في اليد الأخرى.

وكان هناك أشخاص طوال وقصار وصغار وكبار ومعهم طبق وملعقة يسيرون بينهم، ولكن كان أكثر تلك المشاهد غرابة بالنسبة لإيلين هو رؤيتها لسيدة عجوز وهي تخرج من باب البيت على متن حصان أبيض اللون.

وتحدثت الفتاة الصغيرة مع نفسها باندهاش: "أين احتفظت تلك السيدة العجوز بالحصان؟ فأنا لا أعتقد أنه من اللطيف أن تحتفظ بحصانٍ معك في البيت".

كانت يدي السيدة العجوز تعج بالخواتم، والأجراس تدق كلما سار الحصان مما جعل كلمات أغنية للأطفال تصدح في رأس إيلين وتدفعها للغناء في الحال:

"الخواتم في أصابعها

والخلاخيل في أطراف أرجلها

إنها تصدح بالموسيقى

أينما ذهبت"[1]

ثم صاحت: "ما بالهم جميعًا. إنها سيدة صليب بانبوري العجوز. ونظرت حولها باتجاه الجموع: "ما بال هؤلاء القوم؟ أعتقد وأكاد أجزم أنهم جميعًا من أبطال أغاني الأم إوزة".

ورددت السيدة العجوز القصيرة ذات القبعة المدببة كالطرطور: "بالطبع هم كذلك. ومن تظنين أنه سيعيش في منزل الأم إوزة؟"

وتساءلت إيلين: "وهل أنتِ الأم إوزة؟"

"نعم بالطبع أنا هي. ألا تعتقدين أني أبدو تمامًا كما في الصور؟"

"ولكنني لم أكن أعرف أنكِ ما زلتِ على قيد الحياة وكنت أظن أنكِ مجرد أغنية".

1- تُشير الكاتبة إلى كلمات من أغنية أطفال مشهورة تُعرف باسم "**Ride a cock Horse to Banbury Cross**" أو "السفر على متن الحصان الجامح نحو صليب بانبوري".

"ماذا؟ مجرد أغنية! حسنًا، أنا لا أعتقد ذلك. كيف تظنين أنه من الممكن أن يكون هناك أغاني من دون أن يكون لها قصة؟"

ردت إيلين بطريقة حالمة وهي تنظر حولها: "وكذلك هو حال الجميع. "توم، توم ابن الزمّار" و"دينتي، ددلتي، ربيبة أمي" و"الملك كول العجوز"[1]، جميعهم على قيد الحياة، كم يبدو ذلك غريبًا! كنت أتساءل هل القصص حية هي الأخرى؟"

"نعم إنها حيّة تمامًا مثلنا".

"حسنًا، وهل تعتقدين أنني يمكن أن أعثر على القصة التي نسيتها جدتي؟"

فأجابتها الأم إوزة بتدبر: "القصة التي نسيتها ... عن ماذا تدور أحداث هذه القصة؟"

"ماذا؟ أنا لا أدري ... لا أحد يعرف أحداث هذه القصة سوى جدتي التي لم تعد تتذكرها".

هزت الأم إوزة رأسها وقالت: "إذا كان الجميع قد نسيها، فإن ذلك يعني أنها الآن في منزل الأطفال غريبي الهيئة[2]، حيث تكون القصص المنسية والتي يتم صياغتها من جديد".

---

1 – تُشير الكاتبة إلى عدة أغنيات إنجليزية مشهورة للأطفال منذ القرن الثامن عشر وهي من كتاب ***The Real Mother Goose*** (1916) أو *الأم إوزة الحقيقية* (1916).

2 – في عام 2016 تمّ عرض فيلم بعنوان منزل الأطفال غريبي الأطوار وهو مقتبس عن رواية بعنوان **"Miss Peregrines Home for Peculair Children"** "منزل الآنسة بريجرنز للأطفال غريبي الأطوار"، إلّا أن المترجمة ترى أن أحداث هذا الفيلم مستوحاة أيضًا من كتاب "حسبما يحلق الإوز"

"ألا أستطيع الذهاب لهناك؟"

"لا أعرف؛ فأنا لم يسبق لي وأن ذهبت لهناك فبالطبع إنهم لن يسمحوا لي بالدخول ولكنكِ طفلة حقيقية وربما يسمحون لكِ بذلك. ولكن يبقى السؤال: كيف ستذهبين إلى هناك؟، فهي رحلة طويلة جدًا عبر الغابة وفوق التلال والينابيع".

ردت إيلين: "لا أدري؛ لأنا لم يسبق لي وأن سافرت بعيدًا إلَّا عندما ذهبت للعمة جوزيفين".

وأخبرتها الأم إوزة كيف تفعل ذلك

للكاتبة كاثرين بايل، كما تم عرض كرتون مصور للأطفال بعنوان "منزل غريبي الهيئة" وهو مستوحى من كتاب كاثرين بايل على تطبيق كيك ستارتر الأمريكي.

قطبت الأم إوزة حاجبيها وأخذت تفكر بجدية ثم توهج وجهها فجأة: "سأخبركِ بماذا أفكر. لقد قررت أن أعطيكِ ذكر الإوز الذي أمتلكه وهو سيأخذكِ إلى هناك في مدة وجيزة مهما بعدت المسافة".

"حسنًا أشكركِ ولكني لا أعرف كيف امتطيه وسأسقط من فوقه بكل تأكيد".

"لا، لن يحدث ذلك لكِ؛ فهو يمضي بخفة كسرعة الحُلم. بالطبع سأعطيكِ إياه، ولكني أريد منكِ أن تُسدي لي معروفًا عندما تذهبين إلى منزل الأطفال غريبي الهيئة".

"وما هو؟"

"أريدكِ أن تسألي عن أغنية كانت عندي وأعتقد أنهم يحتفظون بها؛ فقد أضعتها ولم أكن قد انتهيت منها بعد وربما تنجحين في العثور عليها من أجلي".

وتساءلت إيلين: "وما هو اسمها؟"

"حسنًا إنها لا تحمل اسمًا ولكنها تقول:

"لقد أتقن جونيكن ركوب الرياح، ولكنه لم يكن يسمح لأحدٍ أن يركب وراءه، وفي أحد الأيام ذهب جوني بعيدًا مع الرياح، وهذه ليست مزحة، فقد سمعته يقول ذلك"[1].

1- تُشير الكاتبة هنا إلى كتاب بعنوان "(1877) **Johnnykin and the Goblins**" أو "جونيكن والعفاريت (1877) وهو للكاتب تشارلز غودفري ليلاند وهو من أهم كتب مغامرات الأطفال ويُعرف بأهميته الثقافية والفكرية.

أقسمت إيلين أن تفعل ما بوسعها حيال ذلك الأمر ومن ثم أرسلت الأم إوزة الفتى الأزرق الصغير[1] ليحل زمام ذكر الإوز ويحضره إليهم. وعندئذ شعرت إيلين بالاضطراب لأنها لم تكن تعرف كيف تمتطيه ولكن الأم إوزة أخبرتها كيف تفعل ذلك.

وفرد ذكر الإوز الأبيض جناحيه وأخذت الرياح تصدر حفيفًا وهي تحملهم تمامًا كصوت تقليب أوراق الكتاب. وارتفع ذكر الإوز عاليًا بخفة كما تطير الفقاعة في الهواء، وحلق بعيدًا في اتجاه طيف الغابة المعتم الذي رأته إيلين في الأفق.

1 – استوحت الكاتبة اسم الفتى الأزرق الصغير من لوحة بعنوان "الفتى الأزرق" للرسام توماس غينزبرة "The Blue Boy" by Thomas Gainsborough.

الفصل الثالث:

« الخنازير الخمسة الصغيرة والماعز »

حلّق ذكر الإوز الأبيض ومضى حثيثًا بانسيابية بالغة وبخفة وأخذ يطوي البلدة التي كانت تمر وتمضي من تحته في الأسفل تمامًا كما تنساب أوراق الكتاب بين أصابعك في غمضة عين حتى أنك لا تُلقي بالًا للكلمات أو الصور.

وعندما رأت إيلين بقعة ضوء حمراء تُشرق في قلب البستان الأخضر بالأسفل تساءلت: "يا ترى ماذا تكون؟"

أرخى ذكر الإوز جناحيه كي تتمكن إيلين من الرؤية.

فرأت بيتًا صغيرًا من الطوب الأحمر، يحيط به عددًا من البيوت الأخرى المبنية من الطين، ولها مداخن يتصاعد من اثنين أو ثلاث منها دخان خفيف ويعلو في الهواء الساكن.

وبينما كان ذكر الإوز يحوم فوقهم إذ بصيحة مُدوية وصرخة بائسة تأتي من ناحية الرابية المستديرة على مدى ليس ببعيد.

وصاحت إيلين: "يا إلهي ما هذا؟ أعتقد أن هذا الصوت لخنزير وأنه يتعرض للأذى من أحدهم. يا إلهي".

وتساءل ذكر الإوز: "هل تريدين الذهاب لرؤية الأمر يا سيدتي؟"

فقالت إيلين: بلى، بالطبع. واستدار ذكر الإوز في ذلك الاتجاه.

وفور وصولهم للرابية وجدوا أن هذه الضوضاء تصدر حقًا من خنزير، ولكن إيلين لم تستطع أن تعرف السبب الذي جعله يصيح بهذه الطريقة. كان يجلس وحيدًا تحت شجرة البلوط وأنفه الوردية مرفوعة للسماء، وكان يبكي بحرقة وعينيه مغرورقتين بالدموع التي تنساب على خديه الممتلئين بالشعر الكثيف.

وفجأة توقف عن الصياح وانتفض واقفًا وأخذ يبحث في هدوء عن ثمار الجوز ويطحنها بأسنانه لما لها من مذاق لذيذ.

وتساءلت إيلين وهي تنظر إليه في الأسفل من فوق ظهر ذكر الإوز: "ما هو الأمر يا عزيزي الخنزير الصغير؟"

ولم يدر في خلدها أنها ستتلقى أي إجابة.

وعندما سمع الخنزير الصغير صوتها رفع بصره عاليًا، وجلس أرضًا عند رؤيتها وأخذ يصيح بقوة لدرجة أن إيلين سدت أذنيها.

وبكى قائلًا: "اهئ، اهئ، اهئ. لا أستطيع أن أجد طريقي للمنزل".

ولبرهة اندهشت إيلين لسماع صوت الخنزير وهو يتكلم لدرجة أنها لم تتفوه بأي كلمة، ثم تساءلت: "أين تعيش؟" ولكن الخنزير لم يسمعها فأعادت عليه السؤال بصوت مرتفع: "أين تعيش؟" وصاحت بصوت عالي "صه يا خنزير"، فتوقف الخنزير فورًا عن الكلام وكان فمه نصف مفتوح والدموع لاتزال في عينيه.

وأعادت السؤال للمرة الثالثة: "أين تعيش؟".

فأجابها الخنزير الصغير: "أعيش في الغابة بالجوار في منزل صغير من الطين مجاور لمنزل آخر من الطوب".

"أليس هو هناك؟" وأشارت إلى البيوت الطينية التي حلقت فوقها للتو.

نظر الخنزير الصغير وهو يبكي: "كيف، إنه هو"، ثم أخذ يلف ذيله القصير ويلوح به في ذلك الاتجاه.

رفرف الإوز الأبيض بجواره واستطردت إيلين قائلة: "ولماذا لم تره من قبل؟"

"كنت عائدًا للمنزل مع أخي الخنزير الكبير وتوقفت لتناول بعض ثمار الجوز؛ فقال إنه لن ينتظرني لأكثر من ذلك ومضى عائدًا وضللتُ الطريق".

"ولكنك لو كنت نظرت لكنت رأيت البيت".

"لم أنتبه لأنني كنت أبحث عن ثمار الجوز ومن ثم انخرطت في البكاء وأخذت أبحث عن المزيد من ثمار الجوز".

لم تتمالك إيلين نفسها من الضحك وذلك لرعونة الموقف وقالت: "أعتقد أنه من الأفضل أن أصطحبك للمنزل فربما تضل الطريق مرةً أخرى وسألته في التو واللحظة: "كم لديك من الإخوة؟".

فأجابها الخنزير "أربعة، وأحدهم سيتناول لحم البقر المشوي في العشاء". وإذا به يجلس أرضًا وينخرط في البكاء من جديد.

وسألته إيلين وهي في قمة الإحباط واليأس: "ما خطبك الآن؟".

"أهيء، أهيء (أويك، أويك)، ربما يكون قد التهم كل اللحم".

"حسنًا، من الأفضل أن تهرع للمنزل وترى بنفسك لأنني على ثقة أنك إذا بقيت تبكي هنا، فإنك لن تحصل على شيء".

هذه الخاطرة جعلت الخنزير الصغير يقفز على قدميه ويهرع راكضًا للمنزل بأقصى سرعة على قدميه القصيرتين.

وفور وصولهم للبيت المبني من الطين والمجاور للبيت المبني من الطوب وجدوا خنزيرًا آخر يقف على المدخل متأملًا وكان أضخم بكثير من صديق إيلين.

وأخذ يُحدق بقوة في الفتاة الصغيرة وذكر الإوز الذي كان برفقتها ولكنه وجه حديثه للخنزير الصغير: "أيها الخنزير الشقي الصغير، لماذا لم تعد للبيت؟"

لم يجب الخنزير الصغير على سؤاله، ورد متسائلًا: "هل انتهى أخي الأوسط ميدلينج من تناول اللحم البقري؟".

"ما زال هناك بعض الدهن".

وبمجرد أن هرع الخنزير الصغير نحو الباب سألت إيلين الخنزير الثاني: "هل هذا هو بيتك؟".

نخر الخنزير بأنفه وقال: "نعم بالطبع".

وفي هذه المرة تراءى على أعتاب البيت ثلاثة خنازير أخرى وأخذوا يُحملقون في الفتاة الصغيرة.

قالت إيلين: "يا له من منزل صغير ولطيف".

فسألها الخنزير الأكبر: "هل تحبين أن تُلقي نظرة على البيت من الداخل؟"

فأجابته إيلين بالإيجاب.

انسلت إيلين من جوار ذكر الإوز وفتح لها الخنازير الطريق لتدخل إلى البيت ولكنها لم تدخل وظلت تنظر عبر عتبة البيت. كان الخنزير الأصغر يجلس على الطاولة ويلتهم الدهن البقري بكل ما لديه من قوة. ووجدت إيلين أنه يأكل بصورة غير مهذبة.

ولكنها أخذت تردد: "يا له من بيت صغير ولطيف".

ونظرت من حولها، فوقع بصرها على خيال لرأس يتراءى في إحدى نوافذ البيوت المجاورة وكان يبدو كرأس قط.

فتساءلت: "تُرى من هم سكان هذه البيوت المجاورة؟".

فأجابها الخنزير الأوسط الذي يُدعى ميدلينج: "حسنًا، في ذلك البيت المبني من الطوب يعيش خنزير من بني جلدتنا وهو يأتي في بعض الأحيان لرؤيتنا ولكنه ليس لديه الكثير ليفعله معنا وذلك لأنه يعيش داخل قصة حقيقية أنتِ تعرفينها، بينما نحن لا نعدو إلَّا أن نكون كلماتً في أغنية".

وتساءلت إيلين: "وما هي القصة التي يعيش بداخلها؟[1]".

"إنها قصة الذئب الذي أخذ ينفخ وينفخ إلى أن هدم المنزل على عقبيه، وكان لهذا الخنزير أخوين، أحدهما بنى بيتًا من أوراق الأشجار والثاني بنى بيتًا من القش، وعندما جاء الذئب قام بهدم منازلهم والتهامهم إلا أن ذلك الخنزير بنى بيتًا من الطوب ولذلك فعندما اقترب منه الذئب ..."

فقاطعته إيلين لأنها قد سمعت هذه القصة مرارًا وتكرارًا حتى سئمت منها: "حسنًا نعم بالطبع أعرف هذه القصة. ومن الذي يعيش هناك في البيت الذي يليه؟"

"إنهم الأطفال السبعة الصغار[2] الذين ابتلعهم الذئب ذات مرة، إلا أن والدتهم قامت بشق معدته وفتحها بمقصها عندما كان نائمًا فخرجوا جميعًا منها".

"ومن الذي يعيش في هذا البيت ذي المدخنتين المستقيمتين كأنهما أذنين مدببتين والمغطى بالفرو؟"

---

1 – تتحدث الكاتبة هنا عن قصة "الخنازير الثلاثة الصغيرة" وهي إحدى الحكايات التي جمعها الكاتب جوزيف جاكوب في كتاب "قصص الحواري البريطانية" (1890) أو **"English Fairy Tales"** (1890).

2 – تحكي الكاتبة هنا قصة أطفال شهيرة بعنوان "الذئب والعنزات السبع الصغار" أو **"The Wolf and the Seven Young Goats"** للأخوين غريم.

إنها قطة عجوز[1] وهي مجرد أغنية للأطفال ليس إلا، ولكنها معبرة جدًا. تُرى لماذا شعرت القطة ذات مرة بالغضب من صغارها لمجرد أنهم أضاعوا القفازات التي قامت بغزلها لهم؟".

وهكذا استمر الأخ الأوسط ميدلينج يحكي قصص أهل القرية وإيلين تستمع في اندهاش، فقد كان ذلك يبدو غريبًا لدرجة أنها كانت بالكاد تصدق كل ما يحدث.

ثم قالت: "مرحى، مرحى! لا بُد وأنك تشعر بالسعادة لصحبتهم".

نظر الخنازير إلى بعضهم البعض وقاموا بالشخير، ثم نطق من بينهم خنزير رشيق يُدعى رينفلنغ وقال: "كنا حتمًا سنشعر بالسعادة لولا ذلك الماعز العجوز الذي يعيش في كهف بالأسفل في نهاية الطريق".

وقاطعه الخنزير الأضخم ثومبي قائلًا: "يا له من ماعز شقي، فهو دائمًا ما يُسيء الأدب ويحتال علينا".

رد الخنزير ميدلينغ قائلًا: "يا ثومبي لقد احتال عليك بخدعة شريرة".

فتساءلت الفتاة الصغيرة: "تُرى ما هي؟".

"حسنًا ذات يوم خرجنا جميعًا ما عدا ثومبي الذي كان نائمًا في مدخل البيت وعندما رأه الماعز العجوز أحضر سطل الطلاء وقام بطلاء ظهره من الخلف،

---

1 – تُشير الكاتبة لأغنية أطفال بعنوان "ثلاث قطيطات صغيرة" أو "Three Little Kittens" للشاعرة إليزا لي كابوت فولين.

فبدى وكأن وجهًا ضخمًا وممتلئًا يتمدد هناك. وعندما عندنا للبيت لم نعرف ما هذا الشيء وارتعبنا جميعًا ولكن ثومبسي استيقظ وأخذ في النهوض؛ فصاحت الخنزيرة رينفلنغ: "هيا، اهربوا، اهربوا جميعًا، هناك وجه ضخم يطاردنا؛ فبدأ الكل في الهروب وبدوره شعر ثومبي بالذعر عندما رآنا نهرب جميعًا فركض خلفنا وكلما زاد من سرعته ركضنا بسرعة أكبر. وبعد فترة وجيزة تعثر وسقط أرضًا وبدأ في البكاء فعرفنا هويته".

ثم أكمل ميدلينغ: "نعم بالطبع، يا له من وضيع بمعنى الكلمة وإلَّا فلماذا يأتي إلى هنا هذا الماعز العجوز حليق الرأس في وقت نضوج ثمارنا من التوت؟".

فقاطعته إيلين: "ومن هو حليق الرأس هذا؟"

"حسنًا إنه الماعز، لقد حضر إلى هنا ذلك الماعز حليق الرأس متسائلًا عما إذا كان يمكنه الحصول على بعض ثمار التوت، فأجبناه بأن ذلك ممكن، ولكن عليه أن يحضر لنا هدية؛ فقال إنه سيفعل ذلك ثم مضى عائدًا للبيت وأحضر قِدرًا كبيرًا ووضعه على الطاولة وكان محكم الغلق.

ثم خرج إلى الحديقة وأخذ يجمع ثمار التوت بأقصى ما لديه من سرعة.

والتففنا حول بعضنا وتساءلنا تُرى ما الذي يوجد داخل القدر؟

فخمن ليتل سي أنه ربما يحوي ثمار الجوز، وأعتقد ثومبي أن ما بداخله هو قشر التفاح، أما عني فقد قلت إن ذلك القالب لا بد أنه يحوي بعض الفطائر".

شعرت إيلين بحماسٍ شديد جعلها تتساءل: "وما الذي كان بداخل القالب؟"

فأجابها ميدلينغ بهدوء: "حسنًا لقد كانت مزحة؛ فقد وضع بالداخل شيئًا يُشبه الكركوز الضخم وعندما فتحنا الغطاء قفز علينا وصفر عاليًا؛ فارتعبنا وصرخنا جميعًا ورجعنا للخلف على مقاعدنا وانقلبت بنا المقاعد أرضًا مما أصابنا بالضربة القاضية".

لم تتمالك إيلين نفسها من الضحك على هذا الموقف.

وأكمل فاتي: "كما أنه قام بدهان كل ما لدينا من دُمى وأفسدها كلها".

فاندهشت إيلين وقالت: "وهل لديك دُمى؟"

ورأت إيلين أن تلك الدُمى الصغيرة هي الأكثر بهاءً على الإطلاق.

"نعم بالتأكيد وسأجلبها لكِ، ثم ركض ثومبي عائدًا إلى البيت لإحضار الدُمى، وعندما أخرجها وجدت إيلين أنها أكثر الدُمى الصغيرة بهاءً على الإطلاق؛ فقد كانت دُمى خشبية صغيرة على شكل خنازير تمامًا كما في الحقيقة غير أنها صغيرة جدًا ومطلية بطريقة مثيرة للضحك؛ فواحدة كانت ذات لون أرجواني ولها أنف صفراء، والثانية ذات لون أخضر بازلائي ولها أرجل حمراء، وأخرى كان لونها أزرق سماوي ومُغطاة بالكامل باللون الوردي، واثنتين أخرتين كانتا مثيرتان للضحك".

وتساءلت إيلين بعد أن نظرت إليها وتأملتها: "وهل الماعز هو الذي قام بطلائها بهذه الطريقة؟".

فأجابها ميدلينغ: "نعم بالطبع، لقد فعل ذلك وهو عمل في غاية الحقارة".

"وهل لك أن تذكر لي بعض الحيل الأخرى التي ارتكبها؟"

ففكر ميدلينغ لبرهة من الزمن وقال: "لا أتذكر أيًّا منها".

فأكمل رينجلنغ: "يُمكننا الحديث عن الحيلة التي مارسها على أم الصغار السبعة في يوم الرابع من شهر تموز".

"نعم بالطبع. لقد كانت خدعة حقيرة هي الأخرى؛ فوالدة الصغار حنونة جدًا وهي عادةً ما تخبز لنا البسكويت بين الفينة والأخرى وتعطي بعضًا منه لذلك الماعز العجوز. وهي حنونة معه على الدوام إلَّا أنه لا من أحدٍ يحبه".

"وما هي تلك الحيلة؟".

"لقد أحضر بعض المتفجرات ووضعها على طول الطريق الذي تسير عليه الماعز الأم وهو طريق مفروش بالحصى ولذلك فقد ظنت أن تلك المتفجرات ما هي إلَّا جزء منه. وفي صباح يوم الرابع من تموز خرجت الماعز الأم لتحضر سطلًا من الماء فأصاب حافرها إحدى هذه المتفجرات التي انفجرت توًا مما أفزعها وجعلها تقفز في الهواء وعندما نزلت على الأرض، أصابت حوافرها المزيد من المتفجرات التي أخذت تنفجر الواحدة تلو الأخرى، وهكذا أخذت المتفجرات تنفجر في كل مرة كانت تقفز فيها وتهبط على الأرض، مما أصاب الماعز الأم بالذعر وجعلها تبقى في الفراش طيلة اليوم ولقد حدث كل ذلك في يوم الرابع من تموز، لذلك فكم أتمنى لو أننا نستطيع أن نطرده ونقصيه بعيدًا".

وصاح جميع الخنازير: "ونحن أيضًا نتمنى ذلك وسنشعر بالسعادة؛ فهو مجرد ماعز قبيح وعجوز وأصلع ليس إلَّا".

وقالت إيلين: "ولكني لم أر ماعزًا أصلعًا على الإطلاق".

فأجابها رينجلنغ: "لقد قام سيده بحلق رأسه وذلك لأنه شرير جدًا".

"لماذا؟ ما الذي فعله؟"

"حسنًا كان سيده لديه ثلاثة أبناء وكان يُرسل أحدهم على التوالي ليصطحب الماعز إلى المرعى. وفي كل مرة كان الصبي يسأل الماعز قبل أن يُعيده للبيت: "هل أخذت ما يكفيك من الطعام أيها الماعز؟"

فيرد عليه الماعز[1]:

"لقد شبعت تمامًا

ولا أستطيع أن أقضم لقمة أخرى".

ولقد كان الصبي يصطحب الماعز للبيت ويبقيه في الحظيرة ولكن الأب كان حريصًا على الاطمئنان على أن الماعز قد حصل على ما يكفيه من الطعام ولذلك فقد كان يذهب إليه بنفسه ويسأله: "أيها الماعز هل حصلت اليوم على ما يكفيك من الطعام؟" فيرد عليه: "لقد كنت أتنزه في الحقول ليس إلَّا، ولم أتناول قطعة طعام واحدة".

وعندما خطر على ذهن الأب أن أبنائه قد تصرفوا مع الماعز بهذه الطريقة، شعر بغضبٍ جم ومن ثم فقد قام بطردهم بعيدًا خارج المنزل".

فقاطعته إيلين: "أعرف ذلك. وبمرور الوقت أدرك الأب أن الماعز هو الذي قام بخداعه وجعله يطرد أبناءه بعيدًا".

وصاح ميدلينغ وهو يرفع صوته وذلك لأنه أراد أن يتابع القصة بنفسه: "ومن ثم فقد قام بحلق رأس الماعز وطرده بعيدًا بشوكة الحديقة مما جعله يختفي داخل كهف دب ...".

---

1 – يُمكن للقارئ الكريم الرجوع إلى قصة للأخوين جريم وهي بعنوان "أبناء الخياط الثلاثة" أو "الطاولة السحرية والحمار الذهبي وكيس العصا" **"The Wishing Table The Gold Ass and the Cudgel"** وهي القصة التي تتحدث عنها الكاتبة في هذا النص.

وقالت إيلين: "أعلم ذلك".

"وكان الدب يشعر بالخوف من العودة للبيت وذلك لأنه ربما سيرى بريق عيون الماعز داخل الكهف وهو لا يعرف ماهيتها، وكان خائفًا من الدخول للكهف ولكن النحلة قالت أنها ستتولى الأمر بنفسها وهمت بالدخول وقامت بلسع الماعز في جبهته؛ ومن ثم فقد قفز الماعز خارج الكهف وأخذ يركض إلى أن جاء إلى هنا وكم أتمنى لو أن شخصًا يأخذه بعيدًا".

فقالت إيلين: "أنا سأفعل. هذا فقط إذا عرفت إلى أين سآخذه". وكانت لا تخشى الماعز فقد كان لديها دمية في البيت تجر عربة صغيرة تمامًا مثله.

واقترب ليتل سي من الباب وكان قد انتهى لتوه من تناول اللحم البقري، وصاح وهو يبدو عليه الخوف: "لا تستطيعين ذلك، ماذا؟ إن حليق الرأس سيقوم بنفيك إلى مكان آخر، هذا فقط إذا حاولتِ لمسه".

وقال ذكر الإوز الأبيض: "سيدتي، أعرف كيف تجعلين ذلك الماعز يرحل بعيدًا".

فتساءلت إيلين: "وكيف ذلك؟".

ثم قص ذكر الإوز خطته على إيلين والخنازير الخمسة وكانوا ينصتون له.

وصاح الخنازير فور سماعهم لتلك الخطة: "هذا جميل جدًا" وصفقوا بحوافرهم وقفزوا عاليًا في الهواء.

واعتقدت إيلين أيضًا أن هذه خطة جيدة وقالت أنها ستفعل كل ما أشار به ذكر الإوز عليها.

ودلها الخنازير على المكان الذي يعيش فيه الماعز، ثم ركضوا عائدين للبيت فقد أشار عليهم ذكر الإوز أنه سيكون من الأفضل أن يذهب مع إيلين ليروا الماعز بأنفسهم.

كان الماعز يعيش في كهفٍ أسفل رابية، وكان للكهف نافذة واحدة وهي ليست إلَّا حفرة داخل الأرض مباشرة، وكان الكهف له مدخل وباب خشبي.

وهناك طرقت إيلين على الباب؛ فسمعت صوتًا خشنًا يجيبها متسائلًا: "من ذا الذي يطرق بابي؟"

فأجابته إيلين: "شخص لم يأتِ إلى هنا من قبل".

فتابع الصوت الخشن قائلًا: "حسنًا ارفعي سُقاطة الباب كي أرى من الذي تجرأ على المجيء وقرع بابي".

ورفعت إيلين سُقاطة الباب وترددت للحظة ثم فتحت الباب ودخلت.

ولكن عيناها التي بدأت تعتاد على هذا الظلام

أبصرت ماعزًا ضخم البنية وفي غاية القبح

وللوهلة الأولى بدى الكهف غارقًا في الظلام بالمقارنة مع ذلك النور الساطع في الخارج مما جعلها تعجز عن رؤية أي شيء ولكن عيناها التي بدأت تعتاد على هذا الظلام أبصرت أن إحدى زوايا الكهف مغطاة بالقش الذي يجلس عليه ماعز ضخم البنية وفي غاية القبح.

كان شعره خشنًا وأشعثًا، وكان حليق الرأس وعيناه الصغيرتان أسفل قرنية الملتويين تحدقان في إيلين بقوة.

وتساءل: "ما هو السبب الذي جعلكِ تأتين إلى هنا في كهفي وتقومين بإزعاجي؟" وكان صوته أجشًا مما جعل إيلين لوهلة ترتعب ولكنها تذكرت دمية الماعز التي في بيتها، فتحدثت بجرأة:

"إذا سمحت من فضلك، ألا يسعك أن ترحل بعيدًا وتجد لنفسك مكانًا آخر لتعيش فيه؟"

فرفع الماعز رأسه قليلًا وصاح: "أرحل؟ ماذا؟ أنا أرحل من هنا".

فأجابته إيلين: "نعم، فكما تعلم أنت تضايق وتزعج الحيوانات التي تعيش هنا بشدة مما جعلها ترغب في رحليك ولقد عاهدت الخنازير أني شخصيًا سأذهب وأخطرك بذلك".

صاح الماعز مزمجرًا من شدة الغضب: "حسنًا أخبريهم أنني لن أرحل أبدًا؛ فهل يُعقل بعد أن طردت هؤلاء الأبناء الثلاثة من بيت أبيهم وروعت الدب وجعلته يغادر كهفه أن أُطرد في النهاية من بيتي على يد جماعة من الخنازير؟"

فقالت إيلين: "لا أدري، ولكن يجب أن ترحل من هنا على أية حال".

وصاح الماعز مزمجرًا: "لن أرحل".

فقالت إيلين: "بلى، يجب عليك الرحيل".

وصاح الماعز مزمجرًا: "ولكني لن أرحل".

ففعلت إيلين ما نصحها به ذكر الإوز؛ ووضعت يديها على فمها وأصدرت صوتًا يُشبه طنين النحلة.

وقفز الماعز وكأنه قد أُصيب بعيار ناري؛ فمنذ ذلك الوقت الذي اكتوى فيه بلسعة النحل في كهف الدب وهو لا يخشى شيئًا كما يخشاها. وبدأ يرتعش وينتفض وأصبح رأسه الأصلع شاحبًا تمامًا وصاح: "يا إلهي، لا تلدغيني، أرجوكي لا تفعلي ذلك وأنا سأفعل لكِ ما تطلبين".

فقالت إيلين: "حسنًا تعالى معي وأنا لن أؤذيك".

ونهض الماعز واقترب منها متسائلًا بلطفٍ جمٍ: "وماذا ستفعلين معي؟".

"لا أدري الآن، ولكن لا يمكنك البقاء هنا بأي حال من الأحوال وأنا بدوري سأبحث لك عن بيتٍ ملائم في مكانٍ ما".

ثم ربطت عنق الماعز بحبلٍ سميك كان الخنازير قد أعطوها إياه واقتادته على الفور.

وعرفت حيوانات القرية بأمر إيلين من الخنازير وكيف أنها ذهبت لطرد الماعز العجوز بعيدًا. ووقفوا جميعًا يترقبون الحدث على أبواب منازلهم.

واعتقدوا أنهم سيرون إيلين وذكر الإوز وهم يركضون فارين من الكهف والماعز العجوز ينطحهم.

ويا للدهشة فقد رأوا عدوهم يلوح مهرولًا في خنوع بمحاذاة قدمي إيلين ويتبعها أينما اقتادته، فتهامسوا جميعًا معبرين عن دهشتهم، ولكنهم كانوا لا يزالون خائفين أن يصيح بهم إذا عبروا عن غبطتهم هذه.

وأطرقت إيلين رأسها للحيوانات في حياءٍ أثناء سيرها على امتداد الطريق.

ووجدت إيلين فور وصولها على بيت الخنازير أن الجميع يترقبون قدومها. واندفع ميدلينغ نحوها متهامسًا: "هذه الهدية لكِ" وزج في يدها شيئًا ثم عاد والتحق بالآخرين، ولكنه كان سعيدًا لرحيل الماعز فلم يتمالك نفسه وقفز عاليًا في الهواء وركض وهو يصرصر ويصفر.

ولقد منح إيلين كهدية أجمل تلك الخنازير الخشبية الصغيرة على الإطلاق ، وهي تلك الدمية الزرقاء بلون السماء وبها بعض اللطخات الوردية.

الفصل الرابع:

« في عنان فضاء السحاب »

ولّت إيلين وجهها شطر الغابة مصطحبة معها ذكر الإوز الأبيض والماعز. وأخذت تتساءل ماذا عساها أن تفعل مع الماعز؛ فهي لا تستطيع أن تبقيه معها وهي على دراية أنها إذا فكت وثاقه فإنه سيذهب ويزعج حيوانات أخرى.

وكان هناك بيت يقع على اليمين في الناحية المقابلة عند أقصى طرف الغابة. واعتقدت إيلين أن الأشخاص الذين يعيشون هناك ربما سيتولون أمر الماعز ولذلك فقد يممت وجهها نحوه.

وعندما وصلت للبيت وجدته وثيرًا ومريحًا للغاية فهو ذو مدخل مغطى بأوراق الكروم وحظيرة وملحق به مباني خلفية.

وكان هناك امرأة ذات شعر رمادي ترتدي الحرير وتجلس في رواق البيت. وكانت ترفع بصرها عاليًا باتجاه السماء الهادئة وتستمع إلى الموسيقى التي تنبعث من داخل البيت. ولم تستمع إيلين طيلة حياتها لموسيقى بهذا الجمال من قبل حتى أنها طوال سماعها لذلك العزف لم تستطع أن تفعل شيئًا سوى الوقوف والإنصات. واستطاعت الفتاة الصغيرة أن ترى عنق القيثارة الذهبية عبر النافذة المفتوحة واعتقدت أنه لا بد أن يكون هناك شخص يعزف عليها ولكنها لم تسمع أحدًا في العالم يعزف بهذا القدر من الجمال.

وعندما توقفت الموسيقى اضطربت السيدة التي تجلس في الرواق وتنهدت ثم خفضت عينيها فوقع بصرها على إيلين، ووقفت واتجهت إلى سور الرواق وقالت: "صباح الخير أيتها الطفلة. هل ترغبين في رؤيتي؟".

قالت إيلين: "نعم بالطبع. كنت أود أن أعرف ألا ترغبين في امتلاك ماعز؟"

فأجابت السيدة في اندهاش: "ماذا؟ لا، لا أريد؛ فنحن نمتلك في هذا المكان كل الحيوانات التي نحتاج إليها".

فأعادت إيلين الكرَّة: "كم أتمنى لو تأخذين هذا الماعز؛ فأنا لا أدري ماذا عساي أن أفعل به".

"وكيف قمتي بقيادته في أرجاء البلدة؟ أليس هذا الماعز لكِ؟"

"الأمر ليس كذلك"؛ وبدأت تروي على السيدة قصتها وكيف أنها رافقت الخنزير الصغير إلى القرية حيث وجدت الحيوانات منزعجين من الماعز وكيف أنها هي التي جعلته يرحل بعيدًا معها. وبدى كل ذلك في غاية الغرابة مما جعل إيلين تخشى أن السيدة لن تصدق ما حدث ومع ذلك فالسيدة لم يبدو عليها الاندهاش ولكنها هزت رأسها عندما أنهت إيلين الحديث وقالت: "لا، أنا متأكدة أننا لا نريد حيوانًا شريرًا بيننا ولكني سأسأل ابني" ثم صرخت: "چاك، چاك".

ولبّى النداء فتى قوي وممتلئ وجاء عند الباب متسائلًا: "ماذا تريدين يا أمي؟"

"هذه الطفلة لديها ماعز وهي تقول كذا وكذا ... ثم أخذت السيدة تكرر ما قالته إيلين. والآن هي تريد أن تترك الماعز هنا معنا".

وتحدث الفتى بروية: "لا أدري كيف يمكن ..." وفجأة إذ به يتوقف عن الحديث ويُصغي باهتمام وقد بدى على وجهه نظرة خوف مبهمة.

فأمسكته والدته من ذراعه وصرخت: "ما بالك يا چاك؟". "إلى أي شيء تصغي؟ أليس هذا ... ؟".

فأطرق چاك رأسه ولم يجب.

وأنصت الجميع في الحال وأدركت إيلين أن الصوت الذي سمعته منذ بضع دقائق ولم تكترث له كان صوت شخص يبكي وينتحب. وكان الصوت ضعيفًا وبعيدًا ولكن الفتاة الصغيرة استطاعت، في خضم هذا السكون، أن تميز الكلمات: "لا أستطيع النزول، لا أستطيع النزول. وا أسفاه! هذه أنا ولكني وحيدة وبمفردي في الأعلى هنا". لم تستطع إيلين أن تحدد من أين يأتي هذا الصوت ولكنه بدى قادمًا من السماء. وعمّ الهدوء للحظة قبل أن يعود مجددًا للنحيب والبكاء.

وألقت السيدة بمريولها الحرير الذي كانت تلفه حول عنقها وأخذت تهز جسدها وأجهشت بالبكاء وصرخت: "آه، يا لهذه السيدة المسكينة. لا أستطيع أن أتحمل ذلك يا چاك. يجب عليك أن تساعدها على النزول بأي طريقة. يجب عليك أن تفعل ذلك".

وبدى وجه الفتى شاحبًا بعض الشيء وتساءل: "وماذا عساي أن أفعل يا والدتي؟". "أنت تعلمين أني جربت كل شيءٍ أعرفه ولكن لا من سُلَّم في هذا العالم يمكن أن يصل إلى هذا المدى البعيد ونحن لا نملك مزيدًا من حبات الفاصولياء تلك".

وهمست إيلين متسائلة: "من تكون هذه السيدة؟".

وضعت السيدة مريولها على الأرض ومسحت دموعها ثم أجابت: "إنها زوجة العملاق التعيسة. كما ترين فإن كل ما حدث كان بسبب أن چاك قام ببيع بقرتنا من أجل بعض حبات الفاصولياء البغيضة. ولقد عاقبته جيدًا على هذه الفعلة ولكن ما جدوى ذلك؟ ثم قام بزراعة الحبات فنمت إحداهن بسرعة كبيرة حتى بلغت عنان السماء".

وصرخت إيلين: "يا إلهي! إنها قصة چاك وشجرة الفاصولياء[1]".

"لا شيء يُجدي، ولكن كان على چاك أن يتسلق ليرى ماذا يوجد عند قمة شجرة الفاصولياء؛ ثم واصلت السيدة الحديث وكان صوتها يتهدج بالبكاء: "ولقد ظل يتسلق ويتسلق إلى أن وصل في النهاية لحدود عنان السماء. وهناك رأى بلدًا عجيبًا وعملاقًا يمتلك قصرًا وكان العملاق في غاية الثراء؛ فقد كان

1 – تروي الكاتبة هنا بعض أحداث قصة للأخوين جريم بعنوان "بتلات چاك وحبة الفاصوليا المسحورة" "Jack and the Beanstalk". وهي إحدى القصص التي قام جوزيف جاكوب بجمعها في كتاب بعنوان "قصص الحواري الإنجليزية" (1890).

يمتلك، إلى جانب كنوزه الأخرى، صرتين من النقود الذهبية ودجاجة من الذهب وقيثارة ذهبية تعزف عزفًا ذاتيًا من دون عازف. ربما تكونين قد سمعتي عزف القيثارة عند مجيئكِ".

فقالت إيلين: "نعم، بالطبع".

"ولقد نجح چاك ذات مرة في سرقة كل تلك الأشياء وجلبها معه للأسفل تحت شجرة الفاصولياء. وكانت كلها من حقه تمامًا فقد كانت ملكًا لوالده وسرقها منه العملاق. وعندما هرب چاك مع زكائب المال والدجاجة لم يتعرض لأي مشكلة ولكن العملاق اكتشفه ولاحقه في الوقت الذي قام فيه بأخذ القيثارة. وأخذ يتسلق متجهًا نحو أسفل شجرة الفاصولياء وملاحقًا الفتى وكاد أن يقتلنا نحن الاثنين بلا شك ولكن چاك ركض وأحضر فأسًا صغيرًا وقطع ساق شجرة الفاصولياء. ولقد سقط العملاق وهو في منتصف الطريق للنزول أرضًا ومات غير أني لم أشعر بالأسى عليه لوهلة واحدة؛ فقد كان عملاقًا شريرًا وقاسيًا. الشيء الوحيد الذي جعلني أشعر بالأسى هو زوجة العملاق التعيسة، فقد كانت في غاية الطيبة مع چاك وهي الآن تعيش بمفردها تمامًا في بيت العملاق ولا من طريقة على حد ظني، لمساعدتها على النزول".

وأخذت السيدة تبكي مجددًا بشدة أكثر من ذي قبل. وأما عن چاك فقد مضى مبتعدًا وأسند ذراعيه على الحائط ووضع رأسه بينهما.

وأمسك ذكر الإوز الأبيض بتنورة إيلين وهمس: "سيدتي، يا سيدتي، تعالي معي للحظة واحدة".

فاتبعته إيلين وابتعدت قليلًا.

وقال: "أعتقد أني أعرف كيف أساعدكِ على جلب زوجة العملاق للأسفل".

"وكيف ستفعل ذلك؟"

"يجب عليك أن تركبي على ظهري وأنا سآخذكِ وأحلق بكِ إليها، في عنان السماء، فجناحي يمكن لهما الوصول إلى ما لا يصل إليه السُلَّم. وعندما نكون هناك فإننا حتمًا سنجد طريقة لمساعدتها على النزول".

وشعرت إيلين بالسعادة عند سماعها لتلك النصيحة، وعادت للرواق وأخبرت چاك ووالدته بما قال ذكر الإوز.

مما جعلهم يشعرون بالسعادة والامتنان وصاحت الأم: "إذا قمتِ بمساعدة السيدة على النزول من هناك فإننا سنعطيكِ أي شيءٍ تطلبينه حتى وإن كان القيثارة الذهبية نفسها".

وجلست إيلين فوق ظهر ذكر الإوز وأمسكت الزمام في يديها، وفرد الطائر جناحيه القويين وارتفع في الهواء، وحلّق عاليًا وبعيدًا وأخذ يقترب أكثر من عنان السماء حتى بدى چاك ووالدته والماعز العجوز حليق الرأس مجرد ذرات غبار في الأسفل.

وأخذ يعلو أكثر فأكثر إلى أن شعرت إيلين بالدوار بسبب هذا الارتفاع العالي وأغلقت عينيها.

وحدثت رجة خفيفة ثم قال ذكر الإوز: "سيدتي لقد وصلنا".

وفتحت إيلين عينيها ونظرت حولها فوجدت نفسها في بلدة شهباء فسيحة لم تر مثلها من قبل. وكل شيءٍ من حولها كان رماديًا، الأشجار والعشب والينابيع والسماء وكل شيءٍ تقريبًا حتى أنها رأت في مكانٍ ليس ببعيد قلعة شهباء ضخمة وظليلة.

وكان هناك امرأة عجوز قصيرة تُصفق بيديها على مقربة من المكان الذي حط فيه ذكر الإوز.

وكانت تنظر إلى إيلين بعينين واسعتين تملؤهما الدهشة. وأخذت تقترب بوضوح ومدت يدها بثبات حتى لمست إيلين بإصبعها متسائلة: "هل أنتِ حقيقية أم أنكِ مجرد حُلم؟".

فقالت إيلين: "ماذا؟ بالطبع أنا حقيقية".

أمسكت السيدة العجوز القصيرة بذراع إيلين وأخذت تبكي في غبطة": "يا إلهي كم أنا سعيدة حقًا فلطالما كنت وحيدة وبمفردي هنا. أنتِ لن ترحلي بعيدًا وتتركيني وحدي هنا من جديد. أليس كذلك؟".

فقالت إيلين: "لقد جئت لأساعدكِ على النزول للأسفل".

"يا إلهي! إن هذا أفضل بكثير. لقد مضت سنة طويلة وحزينة منذ آخر مرة لامست فيها قدمي العشب الأخضر الأثير. ولكن كيف ستساعدينني على النزول؟".

فقالت إيلين: "أظن أن ذكر الإوز هو الذي سيحملنا"، ولكن ذكر الإوز الأبيض هز رأسه:

"لا، لا؛ فجناحي ليسوا على درجة كافية من القوة تتيح فعل ذلك، هذا غير أننا إذا سقطنا نحن الثلاثة فإن رؤوسنا ستنكسر".

"حسنًا وماذا سنفعل؟"

فتحدثت السيدة العجوز القصيرة بخوف: "إن لدي حبلًا؛ فلقد كنت أقضي وقتي بمفردي هنا وأنا أغزله والآن أعتقد أنه أصبح طويلًا بما يكفي ولطالما دار في خُلدي أن أجربه للنزول إلى الأرض ولكني كنت أخشى ذلك".

نظرت إيلين إلى ذكر الإوز وكان يقول: "ربما يفي ذلك بالغرض. أحضريه إلى هنا وأحضري معكِ أيضًا أكبر سلة تملكينها".

أسرعت السيدة العجوز القصيرة وعادت ومعها الحبل والسلة.

وقال ذكر الإوز: "والآن اربطيهما معًا".

فقامت إيلين والسيدة العجوز بهذا العمل وأظهرن له أن العُقد والأناشيط قوية ومتينة.

وأخذ الحبل ينسدل بين أيدي ذكر الإوز وإيلين

وطلب ذكر الإوز الأبيض من إيلين أن تلف الحبل حول الشجرة وذلك كي تتدلى السلة فوق حواف غيوم مدينة السماء تمامًا.

وقال ذكر الإوز: "والآن اجلسي داخل السلة".

شعرت السيدة العجوز القصيرة ببعض الخوف ولكنها فعلت ما طُلب منها لأنها لم تجد مفرًا من ذلك. وأخذ الحبل ينسدل بين أيدي ذكر الإوز وإيلين وكلما دنى، غابت السلة عن الأنظار تدريجيًا. ولم يكن الحمل ثقيلًا؛ فقد كان الحبل ملتفًا حول الشجرة.

وأخذ الحبل ينسدل للأسفل أكثر فأكثر والسيدة العجوز القصيرة تهبط نحو الأرض أكثر فأكثر وهي داخل السلة. واعتقدت إيلين أنها لن تتمكن هي وذكر الإوز من جعل الحبل يتدلى حتى النهاية. ولكن في النهاية لم يعد الحبل ثقيلًا وصاح ذكر الإوز: "لقد وصلت السيدة للأرض. والآن يا سيدتي اركبي على ظهري وسنطير محلقين باتجاه الأرض".

"يا إلهي أنا خائفة جدًا فنحن في عنان السماء".

"أغلقي عينيكِ وأمسكي بعنقي".

واعتدلت إيلين في جلستها على ظهر ذكر الإوز ولفت ذراعيها حول عنقه وأغلقت عينيها فقد كانت مضطرة لذلك وطار ذكر الإوز محلقًا فوق حافة فضاء السحاب.

ولم يمضي سوى القليل حتى وجدوا أنفسهم مرة ثانية على الأرض أمام الرواق المغطى بأوراق الكروم؛ حيث كانت السيدة العجوز برفقة چاك ووالدته وكانوا سعداء بالفعل.

وتساءلت والدة چاك: "والآن ماذا ستكون هديتكِ؟ هل ستأخذين القيثارة الذهبية؟ أم صرة النقود الذهبية؟ أم ماذا؟"

ولكن إيلين قالت إنها لن تأخذ شيئًا فهي لا تريد أن تُثقل كاهل ذكر الإوز. وأن كل ما تريده منهم هو الاحتفاظ بالماعز ومعاملته بصورة طيبة وأن يقوموا بإرشادها للذهاب إلى بيت غريبي الهيئة.

فقالت والدة چاك: "أما عن الطلب الأول فسألبيه بكل سرور ولكن بالنسبة للطلب الثاني فكل ما أستطيع أن أخبركِ به هو أن بيت غريبي الهيئة يقع في الطرف الآخر من الغابة ولكنكِ إذا سألتي سكان الغابة فإنهم بلا شك سيقومون بإرشادكِ للذهاب إليه".

ثم صاحت السيدة العجوز القصيرة: "عليكِ أن تأخذي هذه على الأقل فهي كل ما أحضرته معي من البلدة الشهباء". ورفعت السيدة تنورتها وأخرجت من تحتها وبالتحديد من جيب ثوبها الداخلي بيضة وكانت في حجم وشكل بيضة الدجاجة تمامًا مما جعل إيلين تندهش في إعجاب عند رؤيتها فقد كانت من الذهب الأصفر الخالص وتلمع كالزجاج. وقالت السيدة العجوز القصيرة: "خذيها فأنا لم أعد بحاجتها الآن وقد وعدني چاك ووالدته أن أعيش برفقتهم وأشاركهم حياتهم. وكما ترين فإنك تستطيعين حملها بسهولة".

أخذت إيلين البيضة وشكرت السيدة العجوز القصيرة، وودعت الجميع ثم اعتدلت في جلستها على ظهر ذكر الإوز وحلقوا بخفة متناهية وابتعدوا في الحال عن البيت المغطى بأوراق الكروم حتى وجدوا أنفسهم عند حافة الغابة الخضراء المظلمة.

الفصل الخامس:

« بيت الأقزام الصغار السبعة »

قال ذكر الإوز: "سيدتي، يجب عليكِ أن تمشي على قدميك الآن هذا إذا كنتِ تريدين أن نستمر في البحث عن سكان الغابة في هذا المكان. كما أنه لا داعي لأن أطير نحو الأشجار الكثيفة وذلك حتى لا تتأذى أجنحتي وتصاب بالسحجات".

فأجابته وهي تنزل من فوق ظهره على الأرض: "حسنًا جدًا".

وأكملت حديثها: "أعتقد أني رأيت الآن بيتًا خلف تلك الشجيرات. ألا تعتقد ذلك؟".

فأجابها ذكر الإوز: "نعم أعتقد ذلك، هيا بنا فلنذهب في ذلك الاتجاه لنرى بأنفسنا".

وبعد تمشية قصيرة جدًا وصلوا للبيت وكان بيتًا صغيرًا وبهيّ الطلة، به باب واحد ونوافذ تتسع بما يكفي لطفل كبير.

وتقدمت إيلين نحو الباب وطرقت عليه؛ فلم يجبها أحد ولكنها سمعت صوت قعقعة بالداخل وأشياء تتحرك من أماكنها هنا وهناك مما جعلها تطرق الباب مرة ثانية.

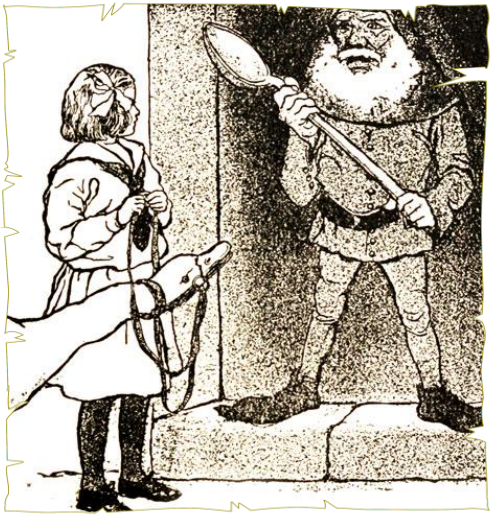

وكان القزم الصغير يقف هناك ويمسك بملعقة خشبية كبيرة

وبعد هنيهة السكون فُتح الباب على مصراعيه فجأة وبقوة. وكان هناك قزم قصير يقف مُمسكًا بملعقة خشبية كبيرة بين يديه وكأنها هراوة، وعيناه تنظران برعب. وصاح بصوتٍ جهوريٍ وغليظ ولكنه بدى مرتعشًا رغمًا عنه: "من أنتِ؟ وماذا تفعلين هنا؟".

فأجابته الفتاة الصغيرة: "أنا إيلين، وقد جئت هنا لأسأل هل يمكنك أن تدلني على الطريق إلى بيت غريبي الهيئة؟".

فأجابها القزم وهو يتنهد بارتياح: "يا إلهي! أهذا كل ذلك؟ عندما طرقتِ الباب أول مرة، خشيت من أن تكونين إحدى هؤلاء الأقزام الذين يسكنون في

جوف الأرض[1]. هيا هلمي وادخلي؛ فربما يدلكِ على الطريق أحد أخوتي لأني لا أعرف الطريق بنفسي. هيا تفضلي بالدخول والانتظار لبعض الوقت؛ فأنا أعد لهم طعام العشاء لأنهم سرعان ما سيعودون".

فأجابته إيلين: "أشكرك. ولكن هل تسمح لذكر الإوز بالدخول هو أيضًا؟"

"حسنًا، بالطبع، أدخليه".

سارت إيلين خلف القزم في اتجاه البيت وهي تنظر من حولها وتقول أنها لم تر أجمل من هذا البيت على الإطلاق، ففي منتصف الغرفة التي في الداخل تمتد مائدة منخفضة الطول وبها سبعة صحون خشبية وسبعة شوك خشبية وسبع ملاعق خشبية وتلتف حول المائدة سبعة مقاعد قصيرة تناسب في طولها حجم الأطفال أو الأقزام، هذا غير خزانة أطباق خشبية ومطلية باللون الأحمر وحوض للعجين وساعة وأريكة، ولكن كل شيء كان صغيرًا وقصيرًا. وأدركت إيلين أنه لا توجد متعة تضاهي إدارة بيت كهذا.

لا من شيءٍ كبير في هذه الغرفة سوى قدر أسود ضخم فوق الموقد وبداخله طعام يُطهى. وكان القزم يضطر للوقوف على جذع شجرة كي يصل إليه ويُقلب ما بداخله من طعام بملعقته الخشبية الكبيرة.

1- تُعرف مملكة الأقزام الذين يعيشون تحت الأرض باسم موريا أو خازاد دوم وقد تحدث عنها الكاتب جون رونالد تولكين (1892-1973) في روايته "سيد الخواتم" (1954)/ **"The Lord of the Rings"** (1954).

ونظر من حوله في اتجاه إيلين وقال: "ثريد"، ثم كرر ما قاله بنبرة إزدراء "ثريد". وقلب الطعام للمرة الأخيرة ودفع بالقدر نحو مؤخرَة الموقد بكل ما أوتي من قوة ثم نزل تاركًا إياه ومضى جالسًا في مواجهة إيلين.

وقال بنبرة يشوبها الأسى: "أعتقد أنكِ تتفقين معي أن تناول الثريد في وجبة العشاء هو شيء غريب، لا سيما عندما أفكر أنه كان لدي عشاء طيب أعددته منذ برهة قليلة مضت".

فتساءلت إيلين: "وماذا حدث له؟"

"ما حدث هو أنني مشيت قليلًا في الغابة لأتفقد عودة أخوتي وفي ذلك الوقت القليل الذي غبت فيه جاء إلى هنا هؤلاء الأقزام الأشرار الذين يعيشون في جوف الأرض وعند عودتي وجدت اللحم قد اختفى وكذلك البطاطس ولم أجد سوى بعضًا من الرماد داخل الشربة التي لم تعد صالحة للأكل. يا إلهي، يا لهم من أشرار!، نعم إنهم حقًا كذلك".

"ألهذا السبب قمت بطهي بعض الثريد؟".

"إن هذا هو ما استطعت أن أعده في هذا الوقت من اليوم. وأدرك تمامًا أن أخوتي سيتذمرون بشدة عند عودتهم للبيت. إن هؤلاء الأقزام الذين يعيشون في باطن الأرض دائمًا ما يرتكبون أعمالًا مشينة. أتذكر تلك الفترة عندما كان يعيش معنا الأمير الدب المحبوب لم يكن وجودهم يسبب لنا أي مشكلة على الإطلاق؛ فقد كانوا يخشونه كثيرًا حتى وإن كان مسحورًا ولكنه كسر التعويذة السحرية وتزوج من بياض الثلج ورحل بعيدًا ليعيش في قلعته. والآن لم يعد هؤلاء الأقزام

مِمن يعيشون في جوف الأرض يخشون أحدًا مما جعلنا لا نجرؤ على ترك البيت لدقيقةٍ واحدةٍ وإلَّا فإنهم سيقومون حتمًا بعمل سلوك سيء".

أخذت إيلين تحملق في القزم؛ فقد كانت تعرف قصة الأمير الدب تمام المعرفة. وكانت تحكي القصة أنه جاء ذات يوم إلى المنزل الذي تعيش فيه الوردة الحمراء وبياض الثلج وطلب منهن أن يحتمي من هذا البرد القارص لليلة واحدة. وكان قد سحره قزم شرير على هيئة دُب ولكنه فقد فراء الدب عندما ألقى القبض على هذا القزم وقام بقتله؛ فعاد أميرًا وسيمًا كما كان وتزوج من بياض الثلج. كانت تحفظ إيلين هذه القصة[1] عن ظهر قلب ولكنها لم تعلم من قبل أنها حدثت بالفعل.

وتساءلت: "وهل رأيت حقًا ذلك الأمير المسحور بعينيك الاثنتين؟"

"نعم، بالتأكيد. لقد كنا نعرفه جيدًا منذ أن كان دبًا. وكثيرًا ما كان يستلقي هناك أمام ذلك الموقد المشتعل ولكنه توقف عن المجيء إلينا بعد قيامه ذات مرة بزيارة بيت الأرملة وهي والدة بياض الثلج والوردة الحمراء".

"على أي حال، ربما يكون ما حدث جيدًا، فقد تكون الأميرة زهرة الثلج[2] خافت منه عندما كانت ترعى بيتنا في ذلك الحين".

---

1 – تُشير الكاتبة إلى أسطورة بعنوان "الوردة الحمراء والأمير الدب" أو **"Rose Red and the Bear Prince"** لفيلهلم غريم وهي القصة التي تحولت فيما بعد إلى فيلم "سنووايت والأقزام السبعة".

2 – يمكن للقارئ الرجوع إلى كتاب بعنوان "زهرة الثلج وقصص أخرى"، **"Snowdrop and other Tales** (1920)" للأخوين غريم، وهو مكتوب باللغة الإنجليزية.

فتساءلت إيلين: "ومن هي زهرة الثلج؟"

"إنها ابنة الملك ولكن كان لديها زوجة أب شريرة تكرهها؛ فهي التي قامت باستئجار صياد كي يقتلها، ولكن الرجل أشفق على الطفلة المسكينة وساعدها على الهرب ثم قتل غزالًا وأخذ قلبه وأعطاه إلى زوجة الأب الشريرة زاعمًا أنه قلب زهرة الثلج، ثم جاءت الأميرة زهرة الثلج لتعيش هنا معنا؛ فكنا نحبها وقمنا برعايتها ولكن زوجة أبيها الشريرة اتبعتها وجاءت إلينا لتسلب حياة الطفلة المسكينة".

فصاحت إيلين بحماس: "يا إلهي، أعرف ذلك، إنها قصة المرأة المسحورة".

ولكن القزم تابع حديثه وكأنه لم يسمع ما قالته إيلين؛ فقد كانت كل أفكاره تنصب حول تلك الأيام التي كانت تعيش فيها زهرة الثلج في بيتهم فكان منيرًا ومشرقًا بجمالها. "نعم لقد جاءت إلى هنا أثناء غيابنا عن البيت تلك الملكة الشريرة وكانت متنكرة وادعت أنها تبيع القياطين وأشرطة الزينة. وكثيرًا ما كنا نحذر الأميرة زهرة الثلج من الغرباء ولكن الطفلة كانت طيبة وبريئة لدرجة أنها لم تكن تظن سوءًا في أي شخص".

فتحدثت مع زوجة أبيها دون أن تعرف هويتها ونظرت إلى البضائع التي كانت معها. كما أنها اشترت منها زوجًا من الخيطان الجميلة. وادعت الملكة الشريرة أنها ستقوم بحياكتهما لها. وأخذت في حياكتهما ولكنها فجأة قامت بسحب الحبل بقوة حول رقبة زهرة الثلج حتى أنها لم تعد تستطيع أن تتنفس وسقطت ميتة على الأرض.

"ولكنها لم تمت؛ فقد قمنا بقطع الحبل عند عودتنا للبيت وهكذا قمنا بإنقاذ حياتها".

"وفي ذات مرة، أحضرت المرأة الشريرة مشطًا مسمومًا وأعطته لزهرة الثلج، وعندما وضعته في شعرها سقطت ميتة على الفور، ولكنا قمنا هذه المرة أيضًا بإسعافها وأخرجنا المشط من شعرها".

"ولكن في المرة الثالثة لم نستطع أن نفعل شيئًا، فقد كانت ثمرة التفاح التي أحضرتها زوجة الأب معها مسمومة وعندما أخذت زهرة الثلج قضمة منها استقرت في حلقها. وعند عودتنا للبيت وجدناها مُمدة على الأرض وكأنها ميتة ولكننا لم نعرف ما الذي أصابها؟

فقمنا بوضعها في تابوت من الكريستال وذلك كي نراها على الدوام".

"ولكن الأمير مرّ من هنا؛ ورأى زهرة الثلج وهي مُمددة دون حراك. وبالرغم من أنها لا تستطيع أن تتحدث أو تتحرك إلَّا أنَّ الأمير أحبها بشدة وطلب منا أن يأخذها معه؛ فلم نستطع أن نرد طلبه وقمنا بإعطائها له فحملها ورحل بها بعيدًا وسقطت التفاحة أثناء الرحلة ففتحت عينيها ونطقت وعادت للحياة".

"ولقد أصبحت الآن ملكة عظيمة ولكنها لم تنسنا فهي تأتي لزيارتنا كل شهر في عربتها التي تجرها ستة أحصنة بيضاء هذا غير الجنود المرافقين لها. يا إلهي! يجب أن تريها بنفسك. كم هي طويلة وجميلة ولكنها غير متكبرة؛ فهي تجلس وتأكل معنا كعادتها دائمًا، حتى إنها أعدت لنا طعام العشاء ذات مرة وطهته بيديها الملكيتين وهي تضحك طيلة الوقت".

فصاحت إيلين: "يا إلهي، كم أتمنى لو أني أستطيع رؤيتها".

وجلس القزم مبتسمًا بينه وبين نفسه وهو يمسح يده بظهر يده الأخرى التي يكسوها الشعر.

وكان يتنقل بين أفكاره ثم صاح فجأة؛ "لقد عاد أخوتي".

ثم جمع الصحون الخشبية وحملها بالقرب من قدر الثريد وبدأ في ملأها".

وكان هناك صوت وقع خطوات في الخارج ثم دخل عبر الباب ستة أقزام يبدو عليهم رباطة الجأش وهم كحبات البازلاء لا يختلفون في شكلهم عن أخيهم الذي يقف بجانب الموقد. ووقفوا جميعًا وأخذوا يحملقون في إيلين وتساءل أحدهم: "من هي؟".

فردّ القزم الذي كان يقف بجوار الموقد: "حسنًا؛ لا من شيء لتخافوا منه، فهي مجرد طفلة من عالم الواقع. وقد جاءت إلى هنا لتسأل عن الطريق إلى منزل غريبي الهيئة ولكني لا أعرف كيف أدلها عليه".

فرد أحد الحاضرين الجُدد: "أنا أعرف الطريق. ولكن اجلسي أيتها الطفلة؛ فعليك بتناول العشاء معنا قبل رحليكِ".

فردت إيلين: "أشكرك ولكني لا أشعر بالجوع".

وصاح قزم آخر وهو ينظر إلى الثريد الذي وُضع أمامه: "ما هذا؟" "أين ذهب عشاءنا الطيب من الحساء واللحم؟".

وبينما كان القزم الذي جلس في البيت يحكي قصة العشاء المسروق إذ بوجوه باقي الأقزام تشتد عبوسًا وكآبة. وصاح أحدهم وهو يضرب الطاولة بقبضة يده

التي يكسوها الشعر: "أترون الآن. لقد أصبح هؤلاء الأقزام الذين يعيشون في جوف الأرض أكثر جرأة؛ حتى إنهم يسيؤون التصرف كل يوم. ولا من حل لهذا الموقف سوى أن يبقى اثنان منا هنا في البيت، أحدهم يتولى الطهي والثاني يقوم بالحراسة".

فتساءل أحدهم: "ولكن يا أخي كيف سنفعل ذلك؟ فعددنا القليل يكفي بالكاد للقيام بكل ما لدينا من أعمال".

وقال الآخر بحزن: "أتمنى لو أن هناك طريقة لإخافتهم وإبعادهم من هنا؟ ولكني لا أعرف كيف نفعل ذلك".

وقالت إيلين: "لماذا؟ ألا من خيال مآتة لديكم لإخافتهم وإبعادهم بعيدًا؟ إن هذا هو ما نفعله في بيتنا".

فاستبشر قزم آخر بالخير وعلق متسائلًا: "وما هو خيال المآتة؟ ولكن عندما أخبرته إيلين بماهية خيال المآتة، هز رأسه: "لا، لا. إن ذلك لن يجدي معهم، فهم في غاية الفطنة، وسيدركون على الفور أننا نحاول أن نخدعهم".

صاحت إيلين: "حسنًا، أعرف بالضبط ماذا سنفعل". "إننا لن نقوم بعمل خيال مآتة وإنما سنقوم بجعل ذكر الإوز بديلًا له؛ ولذلك فإننا سنقوم بتهيئته ليبدو كدمية خشبية وسنجعله يجلس هناك في سكون. وهو بدوره سيطير ويضربهم بأجنحته فور قدومهم للنظر إليه مما سيجعلهم لا يجرؤون على العودة مجددًا".

وفرد ذكر الإوز جناحيه الكبيرين وأخذ يضرب بعضهم بعضًا بقوة هامسًا: "نعم بالطبع".

وقال الأقزام: "إن هذا ربما يكون مجديًا، ولكن علينا أولًا أن نتناول عشاءنا، فنحن جوعى لأننا عملنا بجدٍ وكفاحٍ".

وقاموا بتهيئة ذكر الإوز الأبيض فور انتهائهم من تناول الثريد؛ فوضعت إيلين قبعتها على رأسه وحذائها في قدميه. وربطوا مريولًا كان يعود للأميرة زهرة الثلج حول عنقه، ووضعوا لثامًا على وجهه كان يتدلى فوق منقاره، ثم أجلسوه على كرسي وبدى مضحكًا للغاية لدرجة أن إيلين كانت بالكاد تتمالك نفسها من الضحك.

وقال أكبر الأقزام سنًا: "والآن سنعاود العمل جميعًا وعندما يعود هؤلاء الأشرار ويدركون أننا نحن السبعة خارج البيت فإنهم سرعان ما سيقومون بارتكاب سلوك سيء داخل البيت".

وهكذا ارتدى الأقزام قبعاتهم ومشوا مشية عسكرية تاركين ذكر الإوز الأبيض جالسًا على الكرسي.

واختبأت إيلين داخل خزانة الأطباق ووارب الباب قليلًا كي تتمكن من الرؤية.

ولم تلبث في مخبئها إلَّا قليلًا حتى سمعت ضوضاء عند النافذة ورأت قزمًا يطل منها ويرمق المطبخ بنظرات شريرة ثم صاح: "إن كل شيءٍ على ما يرام. لقد

رحلوا جميعًا تاركين المنزل برمته وإنهم حتمًا ما سيشعرون بالأسى عند عودتهم. هيا هلموا لنرى كيف سنقوم بإيذائهم".

وعاد للوراء تاركًا النافذة ولم يلبث أن يمر سوى دقيقة واحدة بعد أن أتم قوله حتى احتشد جمهور ضخم من الأقزام ودخلوا من الباب وهم يتشقلبون. لم يكن عددهم كبيرًا كهؤلاء الأقزام الطيبين ولكن بدى على وجههم علائم المكر والخبث مما أخاف إيلين وجعلها تتمنى لو أنها هي وذكر الإوز الأبيض بمعزلٍ عن الأحداث.

وصاح أحدهم: "يا ترى ما هو أول عمل شرير سنقوم به؟"

فرد الآخر: "فلنخرج أولًا كل الأواني والقدور من خزانة الأطباق ولنرى أيها يمكن كسره".

وصاح الباقون: "نعم، بالطبع".

وتوجه مجموعة منهم نحو خزانة الأطباق حيث كانت تختبئ إيلين، ولو أنهم عثروا عليها هناك لكان وضعها سيكون صعبًا ولكن صاح أحدهم في نفس ذات اللحظة: "يا إلهي، أنظروا هنا لهذه الدمية التي قاموا بتهيئتها، هل يظنون أن شيءٍ كهذا سيُخيفنا؟ فلنمزقها إربًا إربًا قبل أن نفعل أي شيءٍ آخر".

وهرع جميع الأقزام نحو الكرسي حيث كان يجلس ذكر الإوز مرتديًا قبعة إيلين وحذائها ووجهه مُغطى بلثام. وكان جالسًا في سكون كسكون الصخر حتى اقتربوا منه وعندها أصدر ذكر الإوز الأبيض الخضم فحيحًا ونهض عاليًا

فاردًا جناحيه الكبيرين والعريضين وضربهم بجناحيه وطرح ثلاثة منهم أرضًا؛ فانقلبوا على أعقابهم وذلك قبل أن يتمكن باقي الأقزام من الهروب. وصاح الباقون في رعبٍ من هول المنظر وأسرعوا نحو الباب ولكن ذكر الإوز تعقبهم وركض خلفهم.

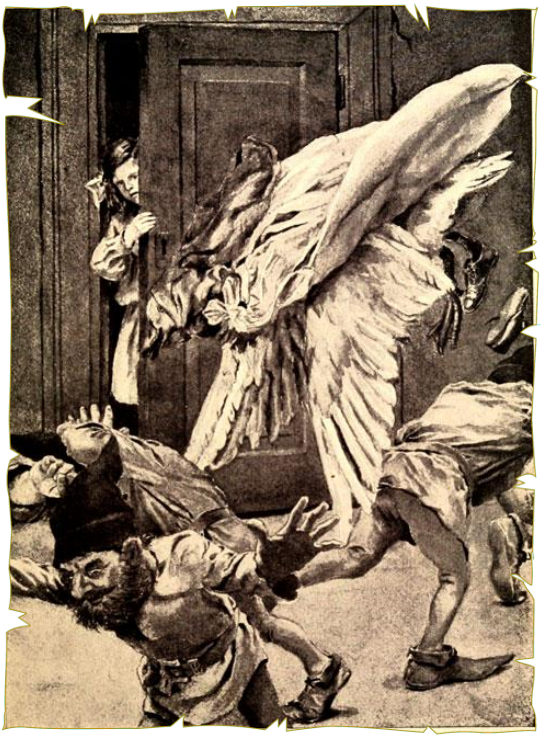

وصاح ذكر الإوز بصوتٍ حادٍ في أذانهم وأوسعهم ضربًا بجناحيه

لدرجة أنهم لم يعرفوا من الذي يتعقبهم

وصاح بصوتٍ حادٍ في أذانهم وأوسعهم ضربًا بجناحيه لدرجة أنهم لم يعرفوا من الذي يتعقبهم. وظل ذكر الإوز الأبيض الضخم يركض خلفهم حتى خرجوا من الباب ومضوا بين جذوع الأشجار وغابوا بين شجيرات الخلنج. وتعالت صيحاتهم الحادة التي تدل على الفزع والخوف وتردد صداها بين أرجاء الغابة.

وسمعها الأقزام الطيبون فهرعوا عائدين للبيت ليروا بأنفسهم كيف نجحت خطة إيلين. وفور وصولهم للبيت عاد ذكر الإوز الذي بدى كما لو كان طيرًا ضاحكًا:

"سيدتي، ألم أوسعهم ضربًا؟".

فأجابت إيلين هي وكل الأقزام بصوتٍ مرتفع: "نعم، بكل تأكيد".

وشرحت لهم إيلين كيف يجعلون الوسادة على هيئة ذكر الإوز. ثم وضعوها على الكرسي ونقلوه أمام النافذة كي يبدو شكلها من الخارج تمامًا كما لو أن ذكر الإوز هو الذي يجلس بنفسه هناك. وقالت إيلين: "أعتقد أنهم لن يغامروا بالعودة مجددًا للبيت طالما أنها موجودة هناك".

وصاح جميع الأقزام في آنٍ واحدٍ: "من المؤكّد أنهم لن يعودوا مرة أخرى".

ثم توسلت إليهم الطفلة أن يدلوها على الطريق الذي يجب أن تسلكه لتذهب إلى منزل غريبي الهيئة.

فأجابها أكبر الأقزام سنًا: "إن هذا لأمر يسير. كل ما عليكِ فعله هو مراقبة حركة أوراق الأشجار وهي التي سوف تدلكِ على الطريق الذي يجب أن تسلكيه".

فصاحت إيلين: "إن هذا لشيء عجيب، فأوراق الأشجار تتحرك في كل الاتجاهات طبقًا لحركة الرياح".

فأجابها القزم: "أنا لا أعني ذلك، كما أني لا أعرف كيف ستجدين طريقكِ بين الغابات بهذه الطريقة؟ تعالي وانظري هنا".

وسار معها أمام البيت وبين الأشجار. وقادها إلى مكانٍ يخلو من الرياح فلا شيء يُحرك أوراق الأشجار. وقال القزم: "والآن تقدمي قليلًا"؛ ففعلت إيلين ذلك وعندها تحركت أوراق الأشجار على الفور وأخذت تُشير نحو اليمين كجماعة من البستانيين الحكماء الحذقين. وقال القزم: "إن هذا هو طريقكِ. وكل ما عليك فعله هو أن تتذكري ذلك وتتبعي الاتجاه الذي سيدلونكِ عليه حتى لا تضيعين طريقكِ".

شكرت إيلين الأقزام الطيبين وانطلقت هي وذكر الإوز بخفةٍ نحو اليمين.

وهكذا مضوا في طريقهم ثم توقفوا في مكانٍ به مجموعة هائلة من الصخور المتراكمة ورأوا شيئًا يتأرجح خلف تلك الكومة، أحيانًا يظهر وأحيانًا أخرى يختفي. واعتقدت إيلين في أول الأمر أنه طائر كبير ولكنها عندما اقتربت منه أكثر قال ذكر الإوز: "سيدتي إنه واحد من هؤلاء الأقزام الأشرار".

وشعرت إيلين ببعض الخوف فتوقفت قليلًا ولكن القزم صعد فوق قمة الصخور ونادى عليها: "أيتها الطفلة هل رأيتِ وأنتِ تسيرين بين الغابات منزلًا صغيرًا؟".

فأجابت إيلين: "نعم، بالطبع".

"وهل توقفتي هناك؟"

"نعم، لقد فعلت ذلك".

"وهل تعرفين شيئًا عن تلك الدمية الضخمة التي تضرب بالمِدراس؟" كان يقصد جناحي ذكر الإوز.

فقالت إيلين: "يا إلهي! نعم. لقد رأيت ذلك أيضًا".

"وهل هي لا تزال هناك؟"

"لا، هي لم تعد موجودة لديهم، إلا أنهم يمتلكون واحدة أخرى في نصف حجمها تقريبًا. وهي تجلس بجانب النافذة حتى إنك إذا ذهبت إليهم الآن فإنك ستراها بنفسك".

فصاح القزم: "لا، لا. إذا كان ذلك حقيقيًا فإننا لن نقترب من البيت مجددًا". ومضى في طريقه يقفز فوق الصخور واختفى داخل أخدود كبير ولم تره إيلين مجددًا، لا هو ولا أي أحدٍ من بني جلدته.

الفصل السادس:

« الذئب الأشهب الضخم »

وهكذا ظلت إيلين هي وذكر الإوز يتبعون أوراق الأشجار التي كانت تدلهم على الطريق، وكلما ساروا أكثر كانت الغابة تزداد ظلامًا وخصوبةً ووحشةً.

وفي تلك اللحظة لم يكن هناك ورودًا في الغابة كالسابق ولكنك تستطيع أن ترى الفطر البديع ناميًا فوق الأشجار وعلى الأرض. كان بعضه في صُفرة لون الذهب، والبعض الآخر كان أحمر اللون كالدم وهناك أنواع أخرى كانت مُرقطة وبها تموجات جميلة كأصداف البحر. وكانت الزهور الوحيدة التي يمكنك أن تراها هي شتلات كاملة من زهور "الغليون الهندي" أو "زهور الشمع البيضاء".

ولم تلبث إيلين أن تتوقف لجمع البعض من تلك الزهور حتى سمعت ذكر الإوز يصيح فجأة ويصدر صوت الزّبط في نفس تلك اللحظة التي سمعت فيها صوتًا حادًا على مقربة من أذنها مما جعلها تبادر القول: "صباح الخير!".

ونظرت إيلين من حولها فوجدت ذئبًا أشهبًا وضخمًا يقف على مقربة منها وكان رثّ الهيئة وتبدو عليه علامات الرعب. وكانت الطحالب قد حجبت صوت مخالبه مما جعل إيلين لا تعلم بمجيئه.

ورأت ذئبًا أشهبًا وضخمًا يقف على مقربة منها

قالت إيلين: "صباح الخير" وكانت نبضات قلبها تتسارع قليلًا لرؤيتها إياه.

فسألها الذئب: "إلى أين تذهبين في هذا اليوم الجميل؟"

"أنا في طريقي للذهاب إلى منزل غريبي الهيئة".

"غريبي الهيئة! لم أسمع عنهم من قبل، ثم أردف الذئب: "هل مذاقهم طيب بما يكفي كي ألتهمهم؟". ثم استدرك بالقول على عُجالة: "لا، لا. لم أقصد ذلك. إن كل ما أعنيه هو هل هم أشخاص يتمتعون بقدر من دماثة الخلق والمرح؟"

فأجابته إيلين: "لا أدري، فأنا لم أرهم من قبل كما أني لست متأكدة هل سأتمكن من العثور عليهم أم أن ذلك لن يحدث مطلقًا، ولكن يجب أن أذهب الآن كي أصل إلى بيتهم اليوم ولذلك فسأقول وداعًا". وعاودت السير لأنها لم تكن تحب أن تبقى بصحبة ذلك الذئب الأشهب الضخم لا سيما في تلك البقعة المنعزلة.

ولكن الذئب هرول بجوارها وهو يقول: "لا داعي للوداع؛ فأنا لا شيء لدي لأقوم به الآن ولذلك سأرافقكِ وأشاركِ الطريق لبعض الوقت".

لم تنطق إيلين ببنت شفه ولكنها أسرعت خطاها في الوقت الذي كان فيه ذكر الإوز يسير بجوارها والذئب الأشهب يسير على الجانب الآخر.

وعاود الذئب الحديث للتو: "في الوقت الحالي لقد أثار غريبي الهيئة فضولي فأنا لم أسمع عنهم من قبل، ولطالما ظننت أني أعرف كل الأشخاص في هذا المكان: الأقزام وذات الرداء الأحمر والدببة الثلاثة[1]". وتردد للحظة ثم أضاف وهو يبلع ريقه: "والحطابون ولكني لم أسمع أحدًا يتحدث من قبل عن غريبي الهيئة".

فتساءلت إيلين وهي تُشير إلى منزلٍ صغيرٍ كانت قد أبصرته للتوّ في فسحة معزولة بالغابة: "من الذي يعيش هناك؟"؛ فقد تراءى لها أنها يمكن أن تقف هناك لتشرب كأسًا من الماء وتتخلص بهذه الطريقة من صحبة الذئب.

---

1 – تُشير الكاتبة هنا إلى قصة "ذات الخصلات الذهبية والدببة الثلاثة"/ **"Goldilocks and the Three Bears"** وهي قصة من قصص الحواري للكاتب روبرت ساوذي ونُشرت في عام 1837.

ابتسم الذئب وكأنه يقرأ أفكارها. "لا أحد يعيش هناك الآن. ألا يبدو ذلك المنزل غريبًا؟"

أدركت إيلين أن ذلك المنزل يبدو غريبًا بالفعل فتساءلت: "وكيف تم بناء ذلك المنزل؟"

"لقد تم بناؤه من الخبز والكعك وسكر النبات، ولكن ألا ترغبين في رؤية ذلك المنزل عن قرب؟ فلا من أحد يزوره الآن سوى الرياح والمطر. وربما تأكلين بعضًا من ذلك الطعام أيضًا، طبعًا هذا إذا كنتِ ترغبين في ذلك".

ومضت إيلين نحو البيت، ولكن الذئب الذي توقف للحظة ليقضم شوكة غرست في أصابع قدمه نادى عليها: "سأكون معكِ بعد لحظاتٍ".

وهمس ذكر الإوز في أذن إيلين وهو يمد عنقه قائلًا: "إن هذا الذئب العجوز ذو الفراء الأشهب ينوي إيذائنا".

فهمست له إيلين بدورها: "إنه يخيفني ولكن ماذا عساي أن أفعل؟"

"إنه لا يرانا الآن؛ فلنتسلل إلى البيت ولنغلق الباب".

نظرت إيلين خلف كتفها فرأت الذئب لا يزال مشغولًا باستخراج النبتة الشائكة ولكنه كان على مقربة من البيت، ثم تساءلت: "أتعتقد أننا نستطيع أن نصل إلى البيت قبله؟"

"نعم نستطيع، فلنحاول".

"إذًا هيا بنا". وبدأت إيلين تركض نحو البيت وذكر الإوز يركض بجوارها ويُساعد نفسه بجناحيه.

وبسبب الجلبة التي أحدثوها، نظر الذئب برأسه عاليًا وبدأ يعوي وهو يركض خلفهم في قفزاتٍ رشيقةٍ. ووطئ الذئب بقدميه عتبات البيت في نفس ذات الوقت الذي كانت فيه إيلين هي وذكر الإوز على عتبة البيت ولكن الفتاة الصغيرة أشاحت بعيدًا عنه وصفقت الباب وأغلقته بالترباس.

وأخذ الذئب يدفع الباب بجسمه وهو يعوي في غضب واهتز الباب مرارًا، وبذل الذئب قصارى جهده ليفتح الباب وكانت إيلين هي وذكر الإوز يقفون بالداخل وهم يرتجفون ولكن الباب الصالح ظل صامدًا، وكان الترباس صلبًا؛ فظلوا في أمانٍ بعيدًا عنه في الوقت الحالي على الأقل.

وعندما وجد الذئب العجوز ذو الفراء الأشهب أنه لا يسعه فعل شيء، جلس أرضًا وهو يلهث وظلت عيناه الحادتين تحدقان في البيت. وهمس بينه وبين نفسه: "انتظروا قليلًا لقد أفلتم مني هذه المرة ولكن ماذا ستفعلون عند خروجكم من البيت مجددًا؟ فأنا لدي وقت كافي مثلكم تمامًا وسأبقى في الانتظار".

وعندما سمعت ذلك إيلين نظرت إلى ذكر الإوز وهي تهمس: "إن ما يقوله سليم. نحن في مأمنٍ الآن ولكننا لا نستطيع البقاء هنا. وكيف سنخرج من البيت من دون أن يمسك بنا؟"

فأجابها ذكر الإوز: "فلنفكر في الأمر وربما نجد طريقةٍ ما".

وأخذ ينظر من حوله؛ فوجد أن حوائط البيت الداخلية مبنية من الخشب وأنها تختلف عن حوائطه الخارجية المبنية من الكعك والخبز كما أن الأثاث كان أيضًا مصنوعًا من الخشب. ورأى قفصًا حديديًا ضخمًا في نهاية الحجرة وكان له باب وقفل لغلق الباب. وكان القفص مفتوحًا من السقف ولكن قضبانه الحديدية كانت عالية جدًا ولا يستطيع أي شخص أن يتسلقها إلَّا إذا كان قردًا.

وصاحت إيلين على الفور: "أعتقد أني أعرف لمن هذا البيت. إنه بيت هانسل وغريتل[1] الذي جاؤوا إليه عندما أضاعوا طريقهم في الغابة؛ وهو أيضًا البيت الذي عاشت فيه الساحرة الشريرة. وهذا هو القفص الذي سجنت هانسل بداخله. أتعلم لقد وضعته داخل القفص وأغلقت الباب وأحكمت عليه القفل".

وانحنت لتلتقط بعضًا من جذاذات الأصداف الحمراء الصلبة من الأرض. "إنها مخالب السلطعون، والآن أعرف ماذا سيحدث بعد ذلك. ألا تعلم ما تقوله القصة؟ كان هانسل المسكين يتناول الطعام الطيب بينما كانت جريتل لا تتناول شيئًا سوى مخالب السلطعون".

ثم مشى ذكر الإوز نحو القفص ونظر فيه بعناية وقال: "سيدتي، أعتقد أنه بإمكاني أن أتخلص من الذئب".

---

1 – تتطرق الكاتبة في هذا الموضع إلى أسطورة "هانسل وغريتل"/ "Hansel and Gretel" وهي إحدى قصص الأطفال المعروفة التي دونها الأخوين غريم عام 1812.

"وكيف ذلك؟"

"بهذه الطريقة". وبدأ ذكر الإوز يحكي خطته بينما كانت الفتاة الصغيرة تُصغي بحماس ثم صاحت: "نعم، بالطبع إن هذه الخطة ستنجح. وسأقوم بتنفيذها حتمًا. وسأختبئ في خزانة الملابس الصغيرة عندما تفتح الباب، ثم أتسلل وأغلق القفل".

وقامت إيلين بتنفيذ الخطة بعد أن انتهوا من إعدادها؛ فمشت على أطراف أصابعها واختبأت داخل الخزانة.

وانتظر ذكر الإوز حتى اختبأت بأمان واستقر كل شيء ثم مضى وهو يتهادى في مشيته نحو باب البيت واختلس النظر من ثقب المفتاح. كان الذئب جالسًا على عتبات البيت ولسانه الأحمر يتدلى على أنيابه البيضاء الطويلة وعيناه الحادتان تحدقان في البيت. وفجأت حدثت جلبة وفتح ذكر الإوز الباب على مصراعيه. وقفز الذئب داخل البيت بسرعة البرق ونظر من حوله؛ فلم ير إيلين التي كانت تختبئ داخل الخزانة ولكنه رأى ذكر الإوز الأبيض السمين. وطار مبتعدًا عن الباب نحو القفص وبدى كما لو كان مرعوبًا. وصاح الذئب: "أنت في المكان الذي يسهل جدًا أن أمسك بك فيه" وكشّر عن سائر أنيابه ودخل في القفص الضيق راكضًا خلفه.

ولكن اصطياد ذكر الإوز لم يكن سهلًا كما كان يظن الذئب؛ فهو سرعان ما فرد جناحيه وطار فوق رأس الذئب في نفس ذلك الوقت الذي تسللت فيه إيلين وخرجت من خزانة الملابس وأغلقت باب القفص وقامت بغلق القفل.

ولم يعد الذئب يُشكِّل أي خطر فقد أصبح سجينًا خلف القضبان الحديدية وطار ذكر الإوز فوق القفص وجلس أرضًا بجانب إيلين وقال: "تعالي يا سيدتي لقد أصبح الطريق خاليًا الآن، وهكذا يمكننا الرحيل بسرعة كما كنا نريد".

يا لهذا الذئب الشرير الذي يعوي ويثير الرعب! ولقد تركوه يُحدث ما يشاء من ضوضاء داخل القفص لأنه لم يكن طيبًا. ولكنهم تعهدوا أن يقوموا بإرسال أول حطاب يلتقون به في الغابة وذلك ليتولى هو مسؤولية هذا الذئب القاسي العجوز ذو الفراء الأشهب.

وفرد ذكر الإوز جناحيه وحلّق بأقصى ما لديه من سرعة

ورحلوا بشق الأنفس في ظل صوت عوائه وإذا بهم يلتقون بصياد يحمل بوقًا وبندقية ويسير تحت الأشجار. وقام بتحيتهم وكاد أن يمضي في طريقه ولكن إيلين استوقفته.

وقالت: "لو سمحت من فضلك، يوجد ذئب سجين داخل منزل الكعك الصغير في الخلف هناك هل تُمانع، طبعًا هذا إذا كانت تعيش هنا، أن تعتني به وتُقدِّم له بعض الطعام والشراب؟"

فصاح الصياد: "ذئب! ومن الذي قام باصطياده؟"

وبدأت إيلين تحكي للصياد كيف كان لقاؤهم مع الذئب وكيف هربوا منه بشق الأنفس: "التقيت الذئبَ ...".

لم يندهش الصياد كثيرًا وقال: "أعرف ذلك الذئب العجوز معرفة جيدة. أنتِ محقة فعلًا أيتها الطفلة، لقد هربتم منه بشق الأنفس. إنه نفس الذئب الذي كاد أن يلتهم ذات الرداء الأحمر". واسترسل الرجل في حديثه وقال إنه سيحضر بعض رفاقه ويقومون بتقييد الذئب وجلبه للملك ذو اللحية المدببة[1] والذي يهوى جمع الحيوانات المفترسة.

وتوسل من الفتاة الصغيرة أن تأتي معه وذلك لأن الملك قد وعد بأن يمنح مكافأة كبيرة لكل من يحضر له حيوان ضخم ومفترس كهذا، ولكن إيلين قالت

1- تستخدم الكاتبة أسلوب التناص في سرد قصتها ولذلك فهي تشير هنا إلى قصة شهيرة للأخوين غريم وهي بعنوان "الملك ذو اللحية المدببة" وقد تم تدوينها في كتاب "قصص الأخوين غريم للكبار والصغار" عام 1812 وهو بعنوان (15-1812) ***Kinder-Und Hasmärchen***

إنه ليس لديها أي وقت. ويتوجب عليها أن تسرع، هذا إذا كانت تريد أن تصل إلى منزل غريبي الهيئة في نفس ذات اليوم.

"حسنًا ولكن على الأقل اقبلي هذا البوق"، ثم أنزل الصياد البوق الذي كان يحمله على كتفه: "أنا لا أملك شيئًا آخر كي أعطيه لكِ ولكنه كفيل بأن يذكركِ بمغامرتكِ".

شعرت إيلين بالسعادة وذلك لأن البوق كان في غاية الجمال. وشكرت الصياد وودعته ثم استأنفت رحلتها مع ذكر الإوز من جديد.

الفصل السابع:

« المصباح السحري »

قال ذكر الإوز: "سيدتي، أعتقد أنه يتوجب علينا أن نذهب إلى أطراف الغابة؛ فالأشجار تبدو متباعدة عن بعضها كما أنني أرى ضوءًا من خلفنا".

فأجابته الفتاة الصغيرة: "أتمنى أن نفعل ذلك".

وأضاف ذكر الإوز: "وهذا يعني أنني سأحلق بجناحي، بمجرد أن نتخلص من تلك الأشجار، وهكذا سننطلق بسرعة أكبر".

ووصلوا إلى أطراف الغابة حيث الأرض المكشوفة بسرعة أكبر مما يظنون. وبدى المنظر مشرقًا للغاية، لا سيما بعد طول سفرهم بصحبة الأشجار الظليلة.

كان أمامهم منحدر صخري خفيف، ومن ورائه في الأفق البعيد كان هناك قلعة تتلألأ كقطعة من الذهب في مواجهة السماء؛ فصاحت إيلين: "يا إلهي، أترى؟ إنها قلعة؛ فلنقترب منها أكثر ولننظر إليها".

فأجابها ذكر الإوز: "حسنًا، بالطبع. اجلسي على ظهري وسرعان ما سنكون هناك". واعتدلت الفتاة الصغيرة في جلستها بين جناحي ذكر الإوز بينما كانت الأبواق تصدح من بعيد مع خروج بعض الأشخاص من القلعة، وعلى الرغم من بُعد المسافة فقد أدركت أنهم يرتدون ملابس في منتهى الأناقة وذلك من خلال انعكاس ضوء الشمس عليها. وكانوا يسيرون في موكب من الخيول التي تطأطأ رؤوسها ثم بدأوا يتفرقون في اتجاهات شتى مع دوي صوت الأبواق من

جديد. وصاحت إيلين بحماس وهي تنزل من فوق ذكر الإوز: "يا إلهي، أسرع، لا بُد أنه موكب".

وفرد ذكر الإوز جناحيه وحلق بأقصى ما لديه من سرعة ولكنه عندما وصل إلى القلعة، وجد الموكب قد رحل، ولا يوجد أحد هناك سوى اثنين من العبيد وكانوا يقفون في بهاء على عتبات الباب. ويرتدون ثيابًا من ذهب ويلبسون أطواقًا من الفضة والياقوت حول أعناقهم.

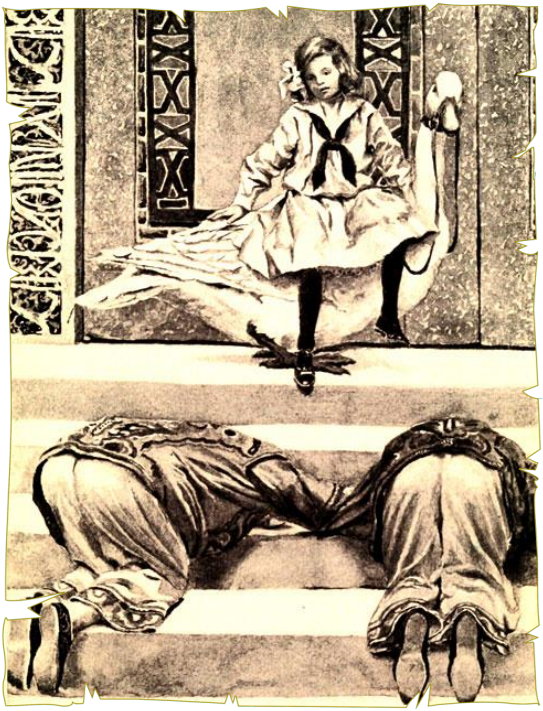

وطرح العبيد انفسهم ارضا امامها

وبينما كان ذكر الإوز يتمجلس على عتبات القصر، كانت إيلين تتساءل: "أكان ذلك الذي مضى بعيدًا للتو هو موكب؟"

وبدى الخوف والذهول على وجوه العبيد عند رؤيتها المفاجئة. وطرحوا أنفسهم أرضًا أمامها وخبئوا وجوههم متوسلين إليها: "لا تؤذينا؛ فنحن مجرد عبيد مساكين".

قالت إيلين: "ماذا؟ أنا لا أنوي إيذائكم. ولا أستطيع فعل ذلك بأي حال من الأحوال؛ فأنا مجرد فتاة صغيرة".

فرفع أحد العبيد رأسه قليلًا: "ولكنكِ لا بد أن تكوني ساحرة وإلَّا لما كنتِ لتطيرين في الهواء بهذه الطريقة".

فشعرت إيلين برغبة في الضحك: "لا، أنا لست شيئًا سوى طفلة وهذا هو ذكر الإوز، رفيق الأم إوزة".

فرفع العبيد رؤوسهم من على الأرض وشعروا بالارتياح: "أحقًا أنتِ لستِ ساحرة؟"

"بالطبع أنا لست كذلك، ولكن ما كل ذلك الذي رأيناه؟" لقد أدركنا أن ما رأيناه لا بد أن يكون موكبًا".

"نعم، لقد كان ذلك موكب سيدنا علاء الدين وعبيده وحراسه، لقد سافر في ركب لزيارة حموه السلطان".

"علاء الدين! أتقصدون علاء الدين صاحب المصباح العجيب؟"

"نعم هو كذلك بالضبط".

فصفقت الطفلة بيديها في حماس: "يا إلهي، لكم تمنيت أن أرى ذلك المصباح؛ فأنا لم أكن أصدق من قبل أنه حقيقي. أتعتقدون أنه سيسمح لي برؤيته؟"

"لقد قلنا لكِ إنه مسافر الآن".

"ولكن ألا يمكن أن تسمحوا لي برؤيته؟ فلطالما تساءلت: يا ترى ما هو شكله؟ ولطالما قلت لنفسي: لو أني أمتلك ذلك المصباح، تُرى ماذا كنت سأتمنى؟"

نظر إليها العبيد في شكٍ وارتياب وبدأوا يتهامسون مع بعضهم البعض، ثم عاود أحدهم النظر إليها مجددًا وقال: "لا أستطيع أن أعدكِ بذلك ولكن إذا كنتِ لا تمانعين، اتبعيني وربما يسمح لكِ الجنود برؤية ذلك المصباح".

أمسك ذكر الإوز بكُم إيلين وهمس في أذنها: "سيدتي، يا سيدتي، لا تتبعينه. أنا لا أدري ما هو السبب، ولكني أخشى من وقوع شيء خطير".

كادت إيلين أن تُصغي إلى ما يقوله ذكر الإوز، ولكنها أرادت أن تنتهز فرصة رؤية وربما حمل مصباح علاء الدين، ولم تشأ أن تضيع فرصة ثمينة كهذه. ولذلك فقد أشاحت بكمها ويدها بعيدًا عنه وسارت خلف العبيد الذين قادوها إلى رواق كبير من الذهب وبه أشكال من الياقوت والزمرد.

كان الرواق خاليًا تمامًا ولا يوجد به أحد على مرمى البصر سوى إيلين وهؤلاء العبيد، إلَّا أنها سمعت صوت موسيقى وطرب من بعيد، يأتي من مكان آخر بالقلعة.

ومشوا عبر الرواق وصعدوا على درج ذهبي يؤدي إلى صالة أخرى بها سلم متعدد الطوابق وطرق حلزونية، متعرجة مما جعل إيلين تشعر بالتيه والضياع الكامل.

ووصلوا في النهاية إلى باب موصد به قضبان حديدية يقف أمامه اثنين من الجنود كانوا يمسكون سيوفًا في أيديهم، ثم قاموا بوضع سيوفهم فوق بعضها البعض عند رؤيتهم لإيلين وذكر الإوز وهم يقبلون عليهم عبر الرواق. وصرخوا في العبيد: "من الذي تجرأ على إحضار هؤلاء إلى هنا؟".

انحنى العبيد احترامًا وإجلالًا لهم، ثم قال أحدهم: "لو تكرمتم لقد جاءت هذه الطفلة متوسلة وراجية أن ترى مصباح علاء الدين".

نظر الجنود بعبوس وبارتياب إلى إيلين مما جعلها تشعر ببعض الرهبة ولكنها قالت: "إذا سمحتم، هل يمكنني أن أرى المصباح؟ طبعًا إذا كان ذلك لن يتسبب لكم في أي مشكلة".

وتقدَّم العبد الذي كان يقف في الطليعة باحترام جمّ وأخذ يهمس في أذني الجنود وكان الغضب يبدو أكثر فأكثر عليهم وهم ينصتون، ولكنهم قاموا بخفض سيوفهم بمجرد أن أنهى الخادم حديثه وقال أحدهم لإيلين: "حسنًا جدًا، يمكنكِ أن تري المصباح". وتحرك من مكانه؛ فتقدَّم العبيد للأمام وقاموا بفتح مزلاج الباب الموصد.

وأذن الجندي لإيلين بالدخول وسرعان ما أغلق الباب من خلفها بقوة؛ فلم يتسن لذكر الإوز أن يتبعها وسمعت صوت إغلاق مزلاج الباب.

وتملكها خوف مُفاجئ وذلك لأنهم قاموا بسجنها وحاولت أن تفتح الباب الموصد. وصاحت: "أخرجوني، أخرجوني من هنا"، ولكن لا من مجيب. وهمست الطفلة بينها وبين نفسها: "إنها مجرد أسطورة لا أكثر وهم بالطبع لن يقوموا بإيذائي ولكني أتمنى لو كان ذكر الإوز هنا معي هو الآخر. وأتعجب لماذا قاموا بغلق الباب بعد أن أذنوا لي بالدخول؟" وراودتها بعض الشكوك: "أيُعقل أنهم ظنوا أني جئت لسرقة المصباح؟" وتسارعت ضربات قلبها وهي تلتفت وتنظر من حولها.

كانت الغرفة التي تقف بداخلها واسعة للغاية وذات سقف عالي ومطلية بالكامل من الذهب كسائر الأروقة الأخرى. وكانت الحوائط تتلألأ وتبدو كما لو أن أي حشرة ستنزلق وتسقط لو زحفت عليها. ولم يكن هناك سوى باب واحد وهو الباب الذي دخلت منه ونافذتين صغيرتين للغاية كانتا على ارتفاع شاهق في قلب الحائط مما يجعلها تحتاج إلى سلم طويل وذلك كي تصل إليهما. وتجولت إيلين في كل أرجاء الغرفة ولكنها لم تجد سبيلًا للهرب.

كان هناك رف صغير يرتكز على الحائط في موضع مرتفع جدًا وبالتحديد في المنتصف وكان مشغولًا بأحجار الياقوت والماس وغير ذلك من الأحجار النفيسة وفوقه مصباح عتيق، وهو رث وبالي. وأدركت إيلين أن هذا هو المصباح السحري بمجرد أن وقعت عينيها عليه.

وشعرت بالذهول ذات فجأة عندما رأت شيئًا يقترب من إحدى النافذتين المفتوحتين ويحجب الرؤية عنها. وسمعت صوت حفيف وخشخشة ثم وجدت ذكر الإوز يحلق بجوارها وهو يقول: "سيدتي لقد جئت إليكِ".

فصاحت إيلين: " يا ذكر الإوز الحبيب، أنا سعيدة جدًا لقدومك، ولكن تُرى لماذا قاموا بغلق الباب؟".

"حسنًا، لقد سمعتهم من حولي يقولون إنهم يخشون من قيامكِ بسرقة ذلك المصباح الموجود أعلى الرف والهرب به بعيدًا ولذلك فقد قاموا بسجنكِ هنا. ولكني لا أدري لماذا يُقدم أي شخص على سرقة مصباح كهذا؟ إنه ليس بمصباح ذهبي وهو ليس أكثر من مصباح مصنوع من النحاس".

فردت عليه إيلين: "لا، إن هذا هو مصباح علاء الدين السحري".

أدركت إيلين أن ذكر الإوز لا يعرف شيئًا عن قصة المصباح والجني ولذلك فقد حكت له قصة ذلك المصباح السحري وكيف أن أي شخص يقوم بحك المصباح، يظهر له جني ضخم يعمل على تحقيق الأمنيات التي يطلبها منه حامل المصباح.

وعندما انتهت من قصتها رد عليها ذكر الإوز وهو يلتقط نفسًا طويلًا: "حسنًا، طالما أنه كذلك، فليس عجيبًا أن يعتقدوا أنكِ تريدين سرقته؛ فهو تمامًا مثل حجر الأمنيات".

صاحت إيلين بغضبٍ: "ولكني حتمًا لا أريد أن أسرقه. ولو قاموا بسؤالي لكنت سأخبرهم أني لا أريد ذلك".

فرد عليها ذكر الإوز: "حسنًا، ولكن أهم شيءٍ الآن هو كيف ستخرجين من هنا؟"

"ولماذا لا تأخذني على جناحيك وتحلق بي خارج النافذة؟".

نظر ذكر الإوز بارتياب نحو فتحة النافذة الضيقة والتي دخل منها للتو وقال: "أخشى أني لا أستطيع، ففتحة هذه النافذة ضيقة حتى بالنسبة لي، مما يجعلني لا أستطيع أن أساعدكِ على الخروج عن طريقها.

"حسنًا، وماذا سأفعل الآن؟"

فكَّر ذكر الإوز للحظة ثم قال: "الم تقولي إن من يمسك المصباح ويقوم بحكه سيظهر له جني؟"

"نعم أعتقد ذلك".

"وأنه سينفذ ما تطلبين منه؟"

"نعم بالطبع".

"حسنًا، عليكِ أن تقومي بحك المصباح وعندما يظهر لكِ الجني اطلبي منه أن يطلق سراحكِ".

شعرت إيلين بالخوف من فكرة أن تقوم باستدعاء جني أسود ضخم؛ فقالت: "ولكني لا أستطيع الوصول إلى ذلك المصباح المرتفع حتى إذا أردت ذلك".

فردّ عليها ذكر الإوز وهو يفرد جناحيه: "لا مشكلة في ذلك؛ فأنا سأساعدكِ في هذا الأمر، ثم حلَّق في اتجاه الرف وعندما وصل إليه قام بضرب المصباح بجناحيه ولكنه لم يصب الهدف ثم اقترب بريشه من المصباح في المرة الثانية ولكنه لم يتمكن من ضرب المصباح سوى في المرة الثالثة؛ فسقط على الأرض الذهبية وصار يتدحرج مصلصلًا ومقعقعًا نحو قدمي إيلين.

والتقطته الفتاة الصغيرة وهي ترتعش.

قال ذكر الإوز: "هلمي يا سيدتي وقومي بحكه؛ فأنا اسمع صوت قدوم الجنود".

فقالت إيلين وهي لا تزال مترددة: "ولكني أخشى ذلك".

رفرف ذكر الإوز بجناحيه في حماسٍ: "هيا أسرعي فإنهم إذا أمسكوا بكِ هذه المرة، فربما لن تستطيعي الإفلات منهم ".

ثم قامت إيلين بحك إحدى جوانب المصباح بإصبعيها.

وسرعان ما سمعت صوتًا مرعبًا يشبه هزيم الرعد ثم ظهر أمامها جني أسود مرعب وصاح بصوتٍ أجشٍ: "بماذا تأمرينني؟ فأنا على استعداد لتنفيذ ما تطلبين كخادم مطيع كما أنني سأقوم بخدمة كل من يحمل هذا المصباح بين يديه".

تسمرت الفتاة الصغيرة مكانها من الخوف عند رؤيتها لذلك المخلوق المرعب الذي قامت بإحضاره ولم تعد تقوى على الحركة.

وصاح ذكر الإوز: "هيا تكلمي يا سيدتي؛ فها هم الجنود قد وصلوا".

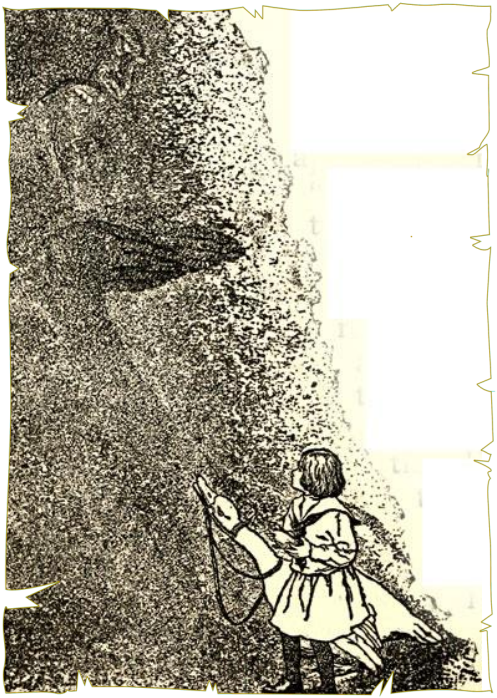

وظهر أمامها جني أسود ذو هيئة مرعبة

وفي تلك اللحظة فتح الجنود الباب على مصراعيه واقتحموا الغرفة؛ فقد شعروا بالضوضاء التي أثارها الجني عند ظهوره وخافوا من هروب إيلين ولكنهم أحسوا بالخوف وعادوا للوراء وذلك عند رؤيتهم لمخلوق أسود ضخم يجثم على ركبتيه أمام الفتاة الصغيرة. ولم يلبث أن يمر سوى هنيهة حتى تقدَّم أحدهم للأمام وكان أكثرهم شجاعة وهمَّ لينتزع المصباح من بين يدي إيلين.

وفي تلك اللحظة صاحت الفتاة وأردفت تقول: "كم أتمنى لو أني في مكانٍ آمنٍ بصحبة ذكر الإوز".

وعلى الفور حملها الجني وطار بها في الهواء حتى قبل أن تلتقط أنفاسها ثم أنزلها بلطف على الأرض قبل أن تخرج تلك الأنفاس.

ثم نظرت من حولها فوجدت أنها تقف مع ذكر الإوز فوق سهل عشبي يبتعد قليلًا عن القلعة وكانت لا تزال تمسك بالمصباح بين يديها والجني لا يزال موجودًا معها.

وسألها بصوته الأجش: "هل لديكِ أي أوامر أخرى؟"

فردت عليه إيلين وهي ترتعش بشدة: "لا".

وعندئذ قال لها الجني: "حسنًا سأذهب" ثم بدأ يتلاشى.

فنادت عليه الطفلة: "يا إلهي، انتظر قليلًا ماذا سأفعل بالمصباح؟".

"ألا ترغبين في الاحتفاظ به؟".

"إن هذا غير ممكن فهو ليس ملكًا لي".

"هل أعيده إلى القلعة؟".

فقاطعها ذكر الإوز: "يا إلهي! لا يا سيدتي فربما يقومون بفرك المصباح ثم يطلبون من الجني أن يعيدنا إليهم كي يسجنوننا".

وأردف الجني قائلًا: "حسنًا، عليكِ أن تحطميه في هذه الحالة".

"ولكن في تلك الحالة ما الذي سيحدث لعلاء الدين وقلعته والجميع؟"

"لن يحدث لهم أي شيء، هذا غير أننا إذا قمنا بتحطيم المصباح فإن المخاوف لن تراوده بعد اليوم من أن يقوم أحد الأعداء بسرقة المصباح ولن يرسلني لتدمير مملكته والقضاء على الأخضر واليابس".

فأردفت إيلين قائلة: "حسنًا جدًا، سأفعل ذلك ولكن كيف سأحطمه؟ فأنا لا أستطيع أن أكسر المصباح".

"سأقوم بشق الأرض إلى نصفين يصل طولها إلى النيران المستعرة في باطن الأرض ثم سألقي بالمصباح في لهيب تلك النيران التي ستلتهمه".

فأردفت الفتاة الصغيرة القول: "حسنًا، جدًا".

وهكذا ضرب الجني الأرض بقدميه وهو يتمتم بكلمات سحرية؛ فانشقت الأرض إلى نصفين في الحال وأصبح صوت زمجرة النيران القادم من باطن الأرض مسموعًا. وصاح: "هيا أسرعي وألقي بالمصباح في لهيب النيران وإلَّا فإنها ستلتهمكِ".

وسرعان ما أخذت إيلين المصباح وألقت به دون تفكير بين لهيب النيران المستعرة من أسفلها في باطن الأرض.

وسرعان ما سُمع دوي صوت عالي يشبه هدير الرعد واهتزت الأرض والسماء وارتعدت القلعة من أعلى قمة برجها إلى أسفلها. وتراءى دخان أمام عيني إيلين مما حجب الرؤية بالكامل، وارتأب الصدع وظهرت القلعة البعيدة وهي لا تزال في مكانها.

ونهض ذكر الإوز ببطء ونظر من حوله وقد كان جالسًا القرفصاء وعنق رأسه منبسطًا على الأرض من هول ما حدث.

وأصبح الجني ضئيلًا كالدخان الرفيع ولكنه كان لا يزال واقفًا في مكانه وهو ضخم البنية وحالك السواد كما كان من قبل، وصاح بصوت يملأه الحبور: "لقد نلت حريتي، وأصبحت حرًا طليقًا وأستطيع أن أغدو وأروح كما أشاء ولم أعد عبدًا أسيرًا داخل المصباح. إنها أنتِ أيتها الطفلة، أنتِ التي أطلقتِ سراحي وسترين بنفسكِ أنني لست ناكرًا للجميل؛ فكما جعلت علاء الدين ثريًا وذي قوة وسلطان فسأجعلكِ أغنى منه بعشرات المرات. وستمتلكين قلعة أجمل من قلعته وخدمًا وكنوزًا وخيولًا تجر العربات".

أخذت إيلين تلهث وهي تقول: "يا إلهي! لا أعتقد أني أحتاج لكل ذلك؛ فأنا سأعود لبيتي عما قريب وعندئذ لن أحتاج لأن أعيش في قلعة".

فأردف الجني قائلًا: "ولكنكِ تستطيعين العودة إلى بيتكِ ووطنكِ وأنتِ متأنقة بالكامل أكثر مما تظنين وترتدين حُلة مرصعة بالذهب والجواهر النفيسة وبصبحة الجنود المرافقين وعازفي الأبواق".

ولكن مجرد التفكير في تلك الأبّهة والعظمة أخاف إيلين وجعلها تقول: "لا، لا؛ فأنا أخشى أن لا ينال ذلك إعجاب والدتي".

بدت علامات الإحباط والفتور على الجني الذي بدأ يتلاشى ويتبدد كالضباب الدخاني وأردف قائلًا: "حسنًا، كما تشائين بالطبع".

فأردفت إيلين قائلة: "ولكني أتمنى أن يعرف علاء الدين ما حدث للمصباح".

ردّ عليها الجني: "سأحقق لكِ أمنيتكِ وسأخبره بنفسي أن مصباحه قد تحطم. والآن سأقول وداعًا ولكن تذكري أنكِ متى رغبتي في الحصول على تلك القلعة فكل ما عليكِ هو أن تقومي بالتصفيق بيديكِ لثلاث مرات وتطلبي من الجني صاحب المصباح أن يُنفذ ما وعدكِ به وستكون ملكًا لكِ في الحال".

وغدى الجني شفافًا للغاية؛ فلم تعد إيلين ترى شكله الذي أصبح كالزجاجة الخاوية إلَّا بشق الأعين. وغاب تمامًا؛ فنادت عليه: "أشكرك للغاية". وانتظرت هنيهة وعندما لم تتلق ردًّا عاودت النداء: "أشكرك". والتفتت نحو ذكر الإوز وقالت: "أعتقد أنه قد مضى" ثم أردفت القول بهمس: "وأنا سعيدة بذلك فقد كان وجوده يخيفني بعض الشيء فهو ضخم البنية وحالك السواد".

لم يُعلِّق ذكر الإوز ولكنه سأل إيلين عمَّا إذا كانت مستعدة للرحيل؛ فقد كان متلهفًا لمعاودة الرحيل معها مجددًا وركبت الفتاة الصغيرة على ظهره وحلقوا برشاقة في الحال.

وقالت إيلين بعد أن سكتت هنيهة: "أتمنى أن لا ينزعج علاء الدين من حرق المصباح".

فأجابها ذكر الإوز: "أعتقد أنه يشعر بالامتنان فلا بد أنه كان مرعوبًا طيلة الوقت من أن يقع المصباح بين أيدي الأعداء؛ فيطلبون من الجني أن يتخلص منه هو وقلعته".

وردت عليه إيلين: "أعتقد أن ذلك صحيح تمامًا"، ثم أردفت القول بعد أن سكتت لهنيهة أخرى: "ويا لسعادة الجني المسكين الذي أطلقت سراحه في النهاية".

الفصل الثامن:

« بيت الرجل ذي اللحية الزرقاء »

قال ذكر الإوز: "سيدتي، هل ترين ذلك الضباب الرمادي من أمامنا؟ أعتقد أننا قد وصلنا إلى أطراف بلاد قصص الحواري حيث يعيش غريبي الهيئة خلف ذلك الضباب".

أرخت إيلين اللجام لذكر الإوز مما أتاح له أن ينبطح تدريجيًا ويرتكز بجناحيه المطويين على الأرض. ووقف هو وسيدته يتأملان جدار الضباب من أمامهما فقد كان يشبه بقايا السحب الضبابية التي تظل هائمة فوق الينابيع في الصباح الباكر. ولم يستطع أي منهما أن يعرف كم تبعد تلك السحب عن الأرض؛ فقد كانت تبدوا أحيانًا منخفضة بعض الشيء وأحيانًا أخرى كانت تبدو بعيدة وتكاد تلامس عنان السماء وهكذا دواليك مما جعلهم يتساءلون: ما هي بدايتها ونهايتها يا ترى؟

وقالت إيلين بهمس: "انظر، أتعتقد أن ذلك الشخص هو من بني جلدة غريبي الهيئة؟".

كان هناك ظل ضخم ينعكس على حاجز الضباب ويمشي بخطوات سريعة مما جعله يغيب في لمح البصر، ثم توالت أطياف عديدة في الظهور بعضهم كان يبدو وكأنه منحنيًا للأمام ليلتقط حفنة من الأرض ويتفحصها كما لو أنه يبحث

عن شيءٍ ما. وبعضهم كان يشب على قدميه وكأنه يقطف ثمرة لا تراها العين. والبعض الآخر كانوا يتحدثون ويومؤون برؤوسهم لبعضهم البعض ثم يمشي أحدهم ويبتعد مسرعًا بين الفينة والأخرى كما لو أنه قد تذكر عملًا ما يجب أن يقوم به.

الجميع لم يكونوا على قدر طول الطيف الأول إلَّا أن أكتافهم ورؤوسهم كانت تغوص في قلب ضباب السماء.

وأردف ذكر الإوز القول بصوتٍ منخفض: "أعتقد أن هؤلاء هم غريبي الهيئة؛ فأنا على ثقة أنهم ليسوا بشخصيات خيالية".

كانت إيلين قد قرأت ذات مرة في إحدى قصص الحواري عن العمالقة الذين يأكلون الأطفال؛ ولذلك قالت: "ولكنهم يبدون طوالًا كالعمالقة. ألا تعتقد أنهم من الممكن أن يؤذوننا؟ فلنفترض أنهم عمالقة سيئون ويأكلون الأطفال تمامًا كما يؤكل الفجل".

ثم أردف ذكر الإوز القول: "أعتقد أنه من الأفضل أن نتوقف في مكان ما لنسأل أحدهم عما إذا كانوا يأكلون الأطفال؛ فهم إن كانوا يفعلون ذلك فهم بالتأكيد يأكلون الإوز أيضًا، كما أن بعض الأشخاص يستعيضون عن أكل الأطفال بتناول الإوز".

ونظرت إيلين من حولها فرأت بيتًا كبيرًا وأنيقًا يقع على بُعد خطوات منها. لم يكن البيت بهيًا كقلعة علاء الدين ولكنه كان لا يزال جذابًا.

ثم قالت: "فلنذهب ونسأل أهل ذلك البيت فهم يعيشون على مقربة من سحب الضباب وأنا على دراية أنهم يعرفون ما الذي يحدث خلف تلك السُحُب حتى وإن كانوا لم يذهبوا إليها من قبل".

كان ذكر الإوز يرغب في هذا بشدة ولذلك فقد أخذ إبلين وحلَّق بها نحو البيت. ومشت وصعدت على عتبات البيت ولكنها لم تستطع أن تمسك بطراقة الباب فقد كان باب البيت كبيرًا وطويلًا للغاية مما جعلها تقرع عليه ببراجم أصابعها.

وسادت هنيهة صمت ثم سُمع صوت من الداخل يقول: "أختي آن، يا أختي، هل تسمعين شيئًا؟".

فأجابها صوت آخر: "لا أسمع شيئًا سوى صوت أوراق العنب وهي تلفح وتخبط جدران التعريشة".

وقال ذكر الإوز: "إن براجم أصابعكِ يا سيدتي رقيقة للغاية؛ فلتسمحي لي بقرع الباب". وأخذ يقرع على الباب بمنقاره.

ثم سُمع نفس الصوت بالداخل يقول: "أختي يا أختي آن، ألا تسمعين شيئًا الآن؟". فأجابها الصوت الثاني: "لا أسمع شيئًا سوى صوت نقار الخشب وهو يقرع على غصن شجرة بالخارج وهذا كل شيء".

فأردف ذكر الإوز القول: "لا فائدة من ذلك يا سيدتي. يجب أن تصعدي على ظهري وتقومين بقرع طراقة الباب وذلك كي يسمعوننا".

وصعدت إيلين على ظهر ذكر الإوز، وبالكاد لمست يدها طراقة الباب ولكنها أخذت تطرق وتقرع على الباب.

وعندئذ صاح الصوت الأول: "أختي، يا أختي آن، ألا زلتي لا تسمعين شيئًا؟".

وصعدت إيلين على ظهر ذكر الإوز، وهكذا استطاعت بالكاد تصل إلى طراقة الباب

"بلى، اسمع الآن أحدهم يطرق على الباب".

وفي تلك اللحظة فتحت سيدة الباب ووقفت في مدخل البيت وهي تُحملق باندهاش في الطفلة وذكر الإوز.

ونادى الصوت الأول بلهفة: "من الطارق يا أختي؟ من هناك؟".

فأجابتها السيدة التي تقف في مدخل البيت: "إنها طفلة. إنها تبدو بالفعل كطفلة".

وفي ذلك الحين هرعت سيدة أخرى إلى فناء البيت والتحقت بالأولى عند مدخل الباب. وكانت أجمل من الأولى ولكن وجهها كان يعلوه نظرة خوف كما لو أنها قد تعرضت لتجربة مروعة ولم تستطع أن تتغلب عليها.

وصاحت: "ماذا؟ إنها طفلة حقيقية بالفعل. أنتِ طفلة بالفعل، أليس كذلك؟ من أين أتيتِ؟ وإلى أين تذهبين؟ أهذا الإوز هو لكِ؟ وماذا تفعلين بصحبته؟".

كانت الأسئلة كثيرة جدًا لدرجة أن إيلين لم تعرف بماذا تبدأ أولًا ولكنها قالت: "لقد جئت عبر غرفة الأطفال المطلة على الحديقة وأنا أحاول العثور على منزل غريبي الهيئة وهذا الإوز هو للأم إوزة وقد أعطتني إياه لبعض الوقت".

نظرت السيدة الجميلة لأختها وقالت: "إنها ذاهبة إلى بيت غريبي الهيئة". وجذبت إيلين بطلف من ذراعها وهي تقول: "أدخلي وأخبريني بكل ما حدث".

وأردفت إيلين القول: "أعتقد أنني يجب أن أسرع؛ فرحلتي غدت أطول مما أتخيل". ولكنها سمحت لنفسها بدخول البيت.

قامت السيدتان بإدخالها إلى غرفة مفروشة بأناقة وأجلستها السيدة الجميلة والتي تُدعي فاطيمة على كرسي ذي ذراعين. وقدمت كرسيًا آخر لذكر الإوز والذي جلس عليه وأرخى جناحيه على ذراعي الكرسي متظاهرًا بالجدية على قدر استطاعته. وصاحت فاطيمة: "والآن أحكي لي كل ما حدث".

أخذت إيلين تحكي لها عن رحلتها وفاطيمة تستمع إليها وهي تضع يدها على خدها وعيناها لا تتزحزحان عن وجه الطفلة. وكانت آن تصغي هي الأخرى حتى أنهت إيلين حديثها وقالت: "والآن أنا أخشى من المضي قدمًا فالأمر يبدو كما لو أن هناك عمالقة خلف ذلك الضباب. أتدون إذا كانوا من العمالقة المشاكسين أم لا؟".

قفزت فاطيمة مصفقة بيديها وهي تصيح: "يا إلهي، لو أني أعرف كيف تبدو هيئتهم؟ لطالما نظرت من نافذتي وأنا أتوق لمعرفة ماذا يفعلون وكيف تبدو أشكالهم لدرجة أني أشعر في بعض الأحيان كما لو أن صبري قد نفذ. وأنا على يقين أنني سأرحل يومًا ما بين الضباب كي أراهم بنفسي".

وصاحت أختها آن بنبرة تحذيرية: "فاطيمة، فاطيمة" ثم نظرت إلى إيلين وقالت: "يا لها من فضولية. وهي كذلك على الدوام وهذا هو سبب كل المشاكل التي عانت منها".

وهمست فاطيمة وهي ترجع بكرسيها للخلف: "حسنًا، أعتقد أنكم بالتأكيد تعرفون قصتي، أليس كذلك؟ ثم نظرت إلى إيلين بشغف وهي تنحني للأمام؟ إنها قصة "الرجل ذو اللحية الزرقاء[1]".

"نعم بالطبع. أعرف قصته؛ فهي في كتاب لدي بالبيت يحوي صورًا ملونة لفاطيمة وشعرها المنسدل على كتفيها وأختها آن وهي على وشك الوصول للقلعة وأخوتهم وهم يقتربون من المكان وغير ذلك من الصور".

كانت فاطيمة ترتجف وهي تخفي وجهها بين يديها: "نعم بالطبع لن أنسى تلك الساعة التي جاء فيها أخوتي وهرعوا مسرعين إلى البيت. في ذلك اليوم نظرت من حولي في الغرفة فرأيت كل تلك الرؤوس المقطوعة والمصطفة وعندها سقط المفتاح من يدي".

كانت إيلين تستحي من السؤال ولكنها أرادت أن تعرف الإجابة بشدة فتساءلت: "هل أنتِ حقًا فاطيمة؟".

بدت فاطيمة غير قادرة على الرد؛ فأجابت أختها آن بدلًا منها: "نعم، إنها هي. وأنا دائمًا ما أذكرها بكل تلك المشاكل التي مرت بها في ذلك الوقت بسبب فضولها. لقد كادت أن تُقطع رأسها ولكن يبدو أنها لم تتعلم أي شيءٍ بعد؛ فهي ترغب الآن في الذهاب إلى أرض غريبي الهيئة، إن سمحت لها، وذلك فقط من

1- تحكي بايل أجزاءً من قصة "الرجل ذو اللحية الزرقاء" للكاتب شارل بيرو وهي مأخوذة عن قصة شهرزاد من كتاب ألف ليلة وليلة. يُمكن قراءة قصة "الرجل ذو اللحية الزرقاء" في "كتاب الأساطير" لأرثر راكهام (1933).

أجل أن ترى أشكالهم. وبادئ ذي بدء هي تعلم أنها ربما سيكون لها قصة جديدة معهم وأنها ربما لن تعود مجددًا".

وانحنت فاطيمة للأمام وباغتت إيلين وأمسكتها من ذراعها مما أفزعها ثم صاحت: "ألا يمكنكِ العودة إلى هنا مجددًا وإخباري بما حدث؟ فأنا أريد أن أعرف كل شيء".

وبالرغم من أن إيلين كانت تسعى للحصول على القصة إلا أن التعب قد بدى عليها من طول الترحال وأخذت شفتاها ترتعشان وهي تقول: "ماذا أنا لا أدري إذا كنت سأسلك هذا الطريق مجددًا في عودتي أم لا؟ وكم أتمنى لو أن هناك طريق أقصر للعودة إلى البيت".

"حسنًا ربما يتمكن ذكر الإوز من العودة إلى هنا مجددًا".

فأردف ذكر الإوز القول: "نعم سأعود من هذا الطريق بالتأكيد. ولكن المسألة تتعلق بكوننا هل سنكمل الرحلة أم لا؟ فأنا بدوري لا أرغب في رؤية هؤلاء العمالقة".

وقالت فاطيمة: "يا إلهي، حسنًا. لو كنت مكانكم لما شعرت بالخوف؛ فربما يكون ظلهم طويلًا جدًا، ولكني سأعطيكم شيئًا يساعدكم طوال هذه الرحلة: "انظروا، ثم أخرجت من جيبها بأصابعها المرتعشة سلسلة من المفاتيح واستلت منها مفتاحًا مصنوعًا من الذهب الخالص وبه بقعة من الصدأ على إحدى جوانبه. وتساءلت إيلين: إن كان هذا هو المفتاح الذي فتح الغرفة المحرَّمة؟

قالت فاطيمة: "خذي هذا المفتاح. إنه مفتاح سحري؛ فلا من قفل ولا من باب مغلق إلَّا وفتحه".

وحملقت إيلين في ذكر الإوز وهي مترددة في أخذ المفتاح وقالت: "لا أدري إذا كنت سأعود إلى هنا مرة أخرى أم لا؟"

فبادلها ذكر الإوز النظرات وقال: "حسنًا، خذيه؛ فإن وجود هذا المفتاح معنا سيساعدنا على الخروج من السجن كما أن جناحي قويين بما يكفي لحملنا ومساعدتنا على تجاوز المصاعب والمشاكل".

وصاحت فاطيمة: "وهل تعداني بإحضاره لي مرة أخرى؟".

فوعدها ذكر الإوز الذي أردف قائلًا: "نعم، بالطبع".

وهكذا غدت فاطيمة متحمسة لرحيلهما؛ فهي لم تكن تطيق الانتظار لمعرفة ما سيحدث معهما.

واقترحت أختها عليهما أن ينتظروا ويرتاحوا قليلًا ويتناولوا بعض المشروبات بعد هذه الرحلة الطويلة ولكن فاطيمة كانت شغوفة برحيلهما؛ كما أن كل من إيلين وذكر الإوز كانوا على عُجالة من أمرهم.

ورافقتهم فاطيمة إلى أطراف حاجز الضباب وكان آخر شيء يسمعوه وهما في قلب حاجز الضباب هو صوتها وهي تردد: "هلموا وأسرعوا ولا تنسوا أن تحملوا لي الأخبار".

الفصل التاسع:

« ما وراء الضباب »

كانوا في قلب حاجز الضباب عندما صاحت إيلين: "يا إلهي، يا لهذا السكون الرهيب والجو الضبابي البارد". وكان الضباب كثيفًا فلم تكن ترى شيئًا سوى ظل رقبته الأسود من أمامها ولكنها كانت تسمع رفيف جناحيه النابضين بثبات، كما أنها لم تعد متأكدة عما إذا كانوا يتحركون من مكانهم، لولا نسيم الهواء الذي يلفح وجهها.

وعندئذ تساءل ذكر الإوز: "سيدتي، هل ترين ذلك الضوء من أمامنا؟"

"لا، لا شيء سوى هذا الضباب الأشهب".

فأردف ذكر الإوز القول محدثًا نفسه: "يظل الإنسان يتنقل في هذا الضباب ويدور حول نفسه حتى يضل طريقه".

وحلّق ذكر الإوز مرارًا وتكرارًا ثم توقف وأسدل جناحيه وتساءل مجددًا عما إذا كان هناك ضوء من أمامهم.

"لا، لا شيء".

"وهل تسمعين أي صوتٍ؟".

أصغت إيلين ثم قالت: "لا أسمع شيئًا سوى رفيف جناحيك".

"سيدتي، أعتقد أنني لا أبرح مكاني، بل وأكاد أجزم أني أدور في حلقة مفرغة".

فتلفتت الطفلة حولها بيأسٍ.

ثم قالت: "كنت أتساءل: هل أقوم بالنفخ في البوق الذي أعطاه الصياد لي؟، فربما يسمعنا أحدهم ويرد علينا".

"فلتقومي بذلك".

وقربت إيلين البوق من شفتيها ونفخت فيه ولكن لا من صوت سوى صوت نفير البوق.

وعاودت النفخ مجددًا ولكن لا من مجيب.

وفي المرة الثالثة أخذت نفسًا عميقًا ونفخت بكل ما لديها من قوة. وتوقف ذكر الإوز عن التحليق كي يمعن الإنصات. وفي تلك المرة سمعوا صوتًا ضعيفًا يأتي من بعيد مُرحِّبًا بهم باتجاه اليمين. واستدار ذكر الإوز محلِّقًا في ذلك الاتجاه. وساروا قليلًا فوجدوا الضباب قد غدى خفيفًا من أمامهم. ولم يمض سوى بضع دقائق، عندما وجدوا أنفسهم قد عبروا الحاجز الضبابي ووصلوا إلى الجانب الآخر.

وقربت إيلين البوق من شفتيها ونفخت فيه

نظرت إيلين من حولها في ذهول واستياء؛ فقد وجدوا أنفسهم في قلب صحراء قاحلة وشاسعة ولا يُرى فيها أي شيء: لا شجر ولا بيوت ولا طيور ولا أي كائنات حية.

ولكن إيلين أدركت أن هناك وجود لكائن حي؛ فقد رأت شيئًا ما يتحرك وينهض على قدميه من بين كومة من الصخور القريبة. كان ذلك الشيء هو فتى

في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمره. واعتقدت إيلين في البداية أنه ابن البستاني الذي يعمل لديهم في البيت؛ فقد كان شديد الشبه به. وكانت إيلين مفتونة بذلك الفتى بالرغم من أن الناس كانوا يقولون عنه أنه غريب الأطوار ويتصرف بطريقة شاذة. وكثيرًا ما كان ينسج القصص ويقصها عليها لكنها لم تشعر بسعادة كالتي شعرت بها عند رؤيتها له هذه المرة. وبالرغم من أنه كان شديد الشبه بابن البستاني إلا أنه لم يعرف الفتاة عندما اقتربت منه مما زاد من حيرتها وجعلها تتساءل: هل هو حقًا ابن البستاني؟

وتساءل الفتى: "هل أنتِ من نفخ البوق؟".

"نعم. لقد أضعنا الطريق بين الضباب وكنا نريد الوصول إلى الجانب الآخر حيث يعيش غريبي الهيئة".

"حسنًا هذا هو كل شيء".

ونظرت إيلين من حولها: "ولكن أين هم؟ لقد رأيت ظلهم بين الضباب".

فضحك الفتى: "يا إلهي، إن هذا لا يساوي شيئًا أمام ما رأيت. لقد كنت أرى ظلهم ينعكس على السماء وأنا جالس في بيتي. ولكن سيتوجب عليكِ السفر بعيدًا عن هنا قبل العثور عليهم. أظن أن لديكِ بوصلة".

"لا، وما حاجتي لها؟".

"لكي تعرفي طريقكِ في الصحراء. وعلى أي حال، أنا لدي بوصلة ولكني متعب الآن ولا أستطيع أن أخطو خطوة واحدة". وتوقف الفتى عن الحديث

ونظر لذكر الإوز: "لا أعتقد أنكِ تقوى على حمل ضعف ما تحمله أليس كذلك؟".

فردّ عليه ذكر الإوز: "لا، لا أستطيع".

"حسنًا، لا أعتقد أنك تقوى على حمل ما هو أكثر من ذلك، إن هذا سيء حقًا؛ فلو أن لدى ما أستعين به، لكنت صنعت ركوبة ورافقتك لإرشادك على الذهاب، ولكني لم أعرف أن الرحلة ستكون طويلة ومرهقة لهذا الحد".

وأردفت إيلين تقول: "هل تقصد أنه لو كان لديك شيء تستعين به لكنت صنعت منه ركوبة حقًا؟".

"نعم، بالتأكيد؛ فكل من ينوي السفر إلى منزل غريبي الهيئة، يعرف كيف يصنع شيئًا من لا شيء، ولكني تعجلت السفر، وليس لدي شيء لاستخدمه وهذه هي المشكلة الآن".

فأردفت إيلين القول: "أليس لديك شيء في جيوبك لتستخدمه؟"؛ فقد كانت جيوب الفتى منبعجة وبها شيء يُصلصل كلما مشى.

"لا جدوى من ذلك. يجب أن أستخدم شيئًا كان على قيد الحياة ذات يوم. والآن، ألا يوجد لديكِ شيء كغصن شجرة أو قطعة خشب؟".

"لا، ليس لدي شيء سوى خنزير خشبي صغير وهو لم يكن حيًّا من قبل".

"لا، ولكن الخشب كان حيًا قبل قطعه. هل تسمحين لي برؤيته؟".

وعندما أخرجت إيلين الدمية من جيبها، أخذها الفتى بلهفة شديدة. وكانت عيناه تلمعان وهو يصيح: "إنها هي". "أستطيع أن أصنع حصانًا كبيرًا للركوب

من هذه". وقرب الخنزير من فمه وأخذ يُتمتم بكلمات سحرية في أذنه. وكلما فعل ذلك كان الخنزير يتمدد أكثر فأكثر وإيلين تنظر باندهاش.

ووضعه الفتى على الأرض، عندما أصبح حجمه كبيرًا ولم يعد يستطيع أن يحمله بين يديه. ولكنه ظل يهمس في أذنه والخنزير يتمدد أكثر فأكثر حتى أصبح في حجم مهر صغير[1]. وتوقف الفتى عندما أصبح حجمه مناسبًا وقال لإيلين وهو ينظر للخنزير بإعجاب: "ها هو!، ما رأيكِ في ركوب هذا الحصان؟".

ولكنه ظل يهمس في أذنه

1 – تبني الكاتبة أحداث قصتها من وحي كتاب عن قصة بعنوان "الطريق لتكون سعيدًا: قصة ويلي، ابن البستاني"/ **"The Way to be Happy or The Story of Willie the Gardener Boy"** (1872) للكاتبة كاثرين دوغلاس بيل.

"أعتقد أنه جيد بما يكفي للركوب ولكن شكله يشبه الخنزير أكثر من الحصان".

وأردف الفتى القول: "الاثنين واحد. والآن علينا أن نفكر في صُنع لجام؛ فهذا الخنزير المسحور لن تكبح جماحه الكلمات عندما يبدأ السير. أعتقد أنكِ لا تملكين شيئًا يمكن استخدامه كلجام".

"لا شيء معي سوى هذه". وأمسكت إيلين بالقلادة الذهبية التي وضعها الأقزام في عنقها.

وصاح الفتى: "إن هذه ستفي بالغرض. أعطيني إياها". وكان الفتى متأكدًا أن إيلين ستعطيه السلسلة؛ فلم تستطع أن تجاوبه بالنفي، وقامت بنزع السلسلة وإعطائها له.

وسرعان ما قام الفتى بتهيئتها كلجام للخنزير وأمسك بالبوصلة ليتأكد من وجهتهم التي سيذهبون إليها قبل أن يصعد على ظهر الخنزير.

وصاح: "والآن أنا جاهز. اتبعوني".

وهكذا قفز الفتى على ظهر الخنزير وغمزه؛ فانطلق بسرعة الريح. وأخذ يعدو بأقدامه كالبرق لدرجة أن ذكر الإوز استجمع كل قوته ليلحق بهم.

وانطلقوا في طريقهم وكانت الريح تصفر في أذني إيلين والأرض تُطوى من تحتها مما أصابها بالدوار.

ولكن الفتى لم يكن يأبه للسرعة التي ينطلقون بها. وكان يعتدل في جلسته على ظهر الخنزير ويمسك بالبوصلة وينظر فيها بين الحين والآخر ليتأكد أنهم يسيرون في الاتجاه السليم.

وبعد مُضي مسافة طويلة، قام الفتى بكبح جماح الخنزير وقال: "ها هنا!". "لقد اجتزنا الصحراء ولكن هناك خطر كبير يقترب منا".

"وما هو؟".

وأشار الفتى بإصبعه: "أنظري".

ونظرت إيلين؛ فرأت أن بساط الصخور العشبي الممتد من أمامهم ما هو إلَّا تنين ضخم ذي لون رمادي يميل للأخضر، ينام مستلقيًا في ممر صخري.

كان ذيله يلتف حول رأسه على الأرض ويبسط جناحيه على الحوائط الصخرية من حوله وكانت أطرافها تتدلى كأشجار خضراء طويلة تنعكس ظلالها على السماء. واستدار برأسه؛ فرأت إيلين وميض عينيه الكبيرتين وكانت كل واحدة في حجم البرميل تقريبًا. وتثاءب؛ فبدى فمه ككهفٍ أحمرٍ.

وشعرت إيلين بالخوف.

وهمست تقول: "ماذا لو اقترب منا؟".

التنين الضخم ينام مُستلقيًا في ممر صخري

فأردف الفتى يقول لإيلين: "يا إلهي، لا. إنه لا ينتبه إلى وجودنا إلا إذا مضينا بجواره؛ فهو في هذه الحالة فقط سيقتنصنا في غمضة عين".

"ألا يمكن أن نلتف من حوله؟".

"ما من طريق لدينا سوى أن ننعطف يمينًا بين تلك الصخور".

فتحدث ذكر الإوز بجسارة وقال: "أستطيع أن أحلِّق فوقه".

فضحك الفتى: " ماذا؟ تُحلِّق فوقه! أنظر إلى جناحيه. إنه يستطيع أن يصطادك بهما في ثانية واحدة. هل سبق وأن رأيت من قبل طائرًا يطارد فراشة صغيرة؟ إنها نفس ذات الطريقة التي سيصطادك بها هذا إذا قمت بحيلةٍ كهذه".

وتساءلت إيلين: "حسنًا، وماذا سنفعل؟".

فأجابها الفتى: "انتظري. لا بد أنهم سيحضرون له الطعام بعد فترة وجيزة. أعتقد في خلال أسبوع أو ما شابه ذلك. وفي ذلك الحين سنتمكن من الانطلاق بجواره؛ فهو عادةً ما يستغرق في النوم لعشر دقائق بعد تناول الطعام ولا شيء يوقظه خلال تلك الفترة، وهو لن يبرح مكانه حتى وإن قمتِ بضربه بالفأس على رأسه".

وصاحت إيلين بغضب: "أسبوع أو ما شابه ذلكّ! أنا لا أستطيع الانتظار كل تلك الفترة. ويجب أن أعود لبيتي هذا المساء وقبل حلول الظلام".

"حسنًا، أنا لا أجد حلًا لذلك، إلَّا إذا كان معكِ ما يمكن أن تقديمه كطعام له".

"ليس لدي سوى بيضة ذهبية. وهذا هو كل شيء".

فصاح الفتى من فرط السعادة: "بيضة ذهبية! لماذا لم تخبريني بذلك من قبل؟ إن هذا هو الشيء الذي أبحث عنه بالضبط. أعطها لي".

وأخذ الفتى البيضة من إيلين وامتطى الخنزير متجهًا نحو التنين. وبدأ هذا المخلوق الضخم يراقب الفتى وهو يقترب منه؛ فرفع رأسه وأصدر فحيحًا محذرًا

إياه. وارتعدت فرائص إيلين؛ فقد كان الصوت عاليًا ومرعبًا للغاية وكأن عدة محركات تنفث بخارًا في نفس ذات الوقت.

ولكن الفتى لم يشعر بأي خوف مطلقًا. وغمز الخنزير متجهًا نحو التنين ليفتح فمه. ولقد سبق وأن رأت إيلين أشخاصًا يرفعون خرطوم الفيل ويطعمونه حبات الفول السوداني بنفس ذات الطريقة في حديقة الحيوان.

وأومأ الفتى مرة أو مرتين للتنين الذي بدى متفهمًا لما يريد؛ ففتح فمه الضخم. وألقى الفتى البيضة الذهبية بداخله. وبدت صغيرة جدًا في فم التنين تمامًا مثل حبة الفول السوداني أو الزبيبة في فم الفيل.

وانتظر التنين هنيهة وفمه مفتوح على أمل أن يُلقي الفتى المزيد من البيض الذهبي بداخله، ولكنه لم يفعل؛ فأغلق فمه وأخذ يمضغ البيضة الذهبية.

وأخذ يمضغ البيضة جيدًا، وكلما مضغها كان يشعر بالنعاس أكثر فأكثر. وابتلع البيضة في النهاية وأغلق عينيه ثم خلد للنوم.

واستدار الفتى، مشيرًا لإيلين وصاح بأعلى صوته: "هيا، تعالي".

فركضت إيلين نحوه بكل ما أوتيت من قوة وقالت بهمس: "يا إلهي! لا تتحدث بصوت عالي؛ فربما يستيقظ".

وانفجر الفتى في نوبة ضحك؛ فارتعدت فرائص الفتاة الصغيرة. وصاح: "اعلمي أنه لن يستيقظ بسببي وإنما سينام لتسع دقائق، انقضت منهم دقيقة الآن".

"حسنًا، فلنسرع إذًا".

وحلَّق ذكر الإوز صعودًا وهبوطًا. وانطلق الفتى بمحاذاته ممتطيًا الخنزير ذي اللونين الوردي والأزرق ومضى بجوار التنين. وشعرت إيلين بالخوف خشية أن يستيقظ التنين، بالرغم مما قال الفتى الذي لم يبدو عليه الخوف مطلقًا. وكان يشعر بالسعادة كلما وطئ الخنزير على ذيل التنين تمامًا كما يجد الأطفال السعادة في السير على قضبان السكة الحديدية.

وتنهدت إيلين بارتياح عندما انتهت المهمة بسلام.

ومضوا في طريقهم بخطوات حثيثة. وكانت الأسوار الصخرية تعلو أكثر فأكثر بدلًا من أن تدنو نحو الأرض وتقترب حتى التقت مع بعضها فيما يشبه الدهليز. كان الضوء خافتًا هناك؛ فأعادت إيلين النظر مرتين قبل أن تعرف أنهم يقفون أمام باب مصقول ومُقضب وتوقف الخنزير وجلس ذكر الإوز على الأرض. وتساءلت: "أين نحن الآن؟".

وكانت عيون الفتى تلمع من شدة الحماس وهو يصيح: "إنه باب منزل غريبي الهيئة". وقفز من فوق الخنزير وأمسك بمقبض الباب وحاول أن يفتحه ثم قال: "الباب مقفول".

ومد يده في جيبه واستل منه حفنة من المفاتيح. وأدركت إيلين أن هذا هو الشيء الذي كان يُصلصل طيلة الوقت كلما تحرك.

وأخذ يجرب المفتاح تلو الآخر ولكن دون جدوى.

وبينما كان الفتى لا يزال على تلك الحالة، إذ بصوت زئير يدوي بين الأسوار الصخرية، وصرخت إيلين: "ما هذا؟"

فأجابها الفتى بهدوء وكان لا يزال مشغولًا بالمفاتيح: "يا إلهي! لا بد أن التنين قد استيقظ من النوم وهو يتثاءب ليس إلَّا".

"ولكن ألن يتبعنا؟"

"لا؛ فهو يحرس مدخل الدهليز فقط".

وأخرج الفتى من جيبه حفنة أخرى من المفاتيح، بعدما أدرك أنه لا جدوى من سابقتها وأن أي منها لم يفتح قفل الباب. وأخذ يجرب المفتاح تلو الآخر ولكن دون جدوى. وألقى بالمفاتيح بعد أن قام بتجربة المفتاح الأخير وجلس على الأرض في يأس.

وصاح: "لقد جمعت هذه المفاتيح طيلة الأشهر السبعة الماضية ولكن دون طائل وهذا ما كنت أخشاه".

"ألا يمكنك أن تفتح الباب؟".

"لا".

"حسنًا، وماذا عساك أن تفعل الآن؟".

"لا أدري؛ فأنا لم أخش الصحراء ولا التنين ولكن هذا ما كنت أخشاه طوال الوقت".

وقال ذكر الإوز: "سيدتي، أين هو المفتاح الذي أعطته لكِ السيدة فاطيمة؟ إذا كان ما قالته صحيحًا فهو حتمًا سيفتح قفل الباب".

وصاحت إيلين: "يا إلهي! لقد نسيت".

ونزعت المفتاح بحماس من جيبها ودسته في يد الفتى وقالت: "جرِّب هذا".

وقام الفتى ببأسٍ ووضع المفتاح في الباب وسرعان ما تغيَّر وجهه عندما وجد أن المفتاح يدخل في الباب بكل سهولة ويسر. وأدار المفتاح ثم سحبه للخلف وانفتح الباب ودخل إلى منزل غريبي الهيئة وتبعته إيلين.

الفصل العاشر:

« في منزل غريبي الهيئة »

وقفت إيلين هي ورفاقها في رواق ذهبي مستدير به مداخل محدبة من جميع الاتجاهات وفي الأعلى قبة زرقاء ترتكز على أعمدة ذهبية ومرصعة بالجواهر التي تتلألأ كالنجوم؛ وكانت تعكس ضوءًا ساطعًا ومشرقًا بالرغم من أن المكان كان خاليًا من النوافذ.

سمعت إيلين صوت قرع يأتي من خلفها؛ فنظرت من حولها باندهاش ورأت رجلًا طويلًا وذي هيئة غريبة. يرتدي ملابس صفراء وخضراء ويمسك في يده بعصا من العاج، أطرافها مشغولة بالذهب. وكلما ضرب الأرض بالعصا، كانت تصدر صوت القرع الذي سمعته إيلين من قبل.

وقف الرجل ينظر إليها ولأصدقائها في صمتٍ لبضع دقائق.

ثم قال: "حسنًا، يجب أن أعرف كيف دخلتم إلى هنا؛ فأنا لم أفتح الباب لأي شخص هذا الصباح".

فأجابته إيلين: "إن معي مفتاحًا، أعطيته لهذا الفتي لكي يفتح به الباب؛ كما أننا لم نكن نعرف أن المكان به أشخاص يمكن أن يفتحوا لنا الباب".

"حسنًا، أنا حارس هذه البوابة ولا أحد يدخل إلا بموافقتي، ولكنني، وقبل أي شيء، أريد أن أعرف كيف وصلتي إلى هنا؟"

ورآت رجلًا طويلًا وذي هيئة غريبة، يرتدي ملابس باللونين الأخضر والأصفر

" لقد سافرت على متن هذا الإوز، إنه، وكما تعلم، ملك الأم إوزة".

"حسنًا جدًا ولكن ماذا عن هذا الفتى؟ هل سافر أيضًا على متن ذكر الإوز؟".

فأجابه الفتى متحدثًا عن نفسه: "لا. لقد سافرت على متن خنزير".

"لا أدري عن أي خنزير تتحدث؟ ومن أين حصلت عليه؟".

فأجابه الفتى: "إنه ليس بخنزير حقيقي كما تعرف. وهو مصنوع من لا شيء تقريبًا". وهز حارس البوابة رأسه متسائلًا: "وهل عبرت الصحراء؟".

"نعم".

"ومشيت بجوار التنين؟"

"نعم بالطبع".

"وفتحت الباب. حسنًا، هذا جيد. وماذا تريد أن تفعل هنا؟"

فأجابه الفتى بشجاعة: "أريد أن أقوم بجمع أحجيات الصور المقطوعة (البازل) وتركيبها مع بعضها".

وحملقت إيلين؛ فقد كان غريبًا أن يقطع الفتى كل تلك المسافة ويمر بكل هذه الأهوال ثم يطلب أن يلعب البازل بعد كل ذلك.

ولم يشعر حارس البوابة بالاندهاش مطلقًا مما قال الفتى. ومشى نحو عمود من تلك الأعمدة الذهبية وأخذ مفتاحًا من حزمة المفاتيح الموجودة بجواره. ولاحظت إيلين وجود باب صغير في قلب كل عمود وأن حارس البوابة قد ذهب ليفتح الباب المقابل له، وعندما فتحه رأت إيلين أن العمود مفرغ من الداخل ولا شيء به سوى عدة أرفف تجعله يشبه خزانة الملابس. وأخذ الرجل صندوق البازل ووضعه في يد الفتى.

وقال وهو يشير نحو إحدى الأبواب المحدبة: "هذه هي حجرتك هناك".

أخذ الفتى صندوق البازل ومضى بخطوط سريعة من فرط السعادة الغامرة التي جعلته ينسى إيلين وكل شيء حوله حتى ذلك الخنزير المسحور الذي كان يتبعه كظله.

ونظرت الفتاة الصغيرة نحوه وقالت: "أعتقد أنه إذا كان يرغب في الحصول على لعبة بازل فمن الممكن أن يحصل على واحدة دون أن يغادر بيته".

فأجابها الرجل: "إنها بالتأكيد لن تكون كهذه الأحجية. هل سبق وأن رأيتِ من قبل أحجية الصور المقطوعة الخاصة بغريبي الهيئة وهي مكتملة؟"

"لا، لا أعتقد ذلك".

"حسنًا، تعالي معي وسأريكِ واحدة".

قاد الرجل إيلين إلى خزانة كبيرة وفتح القفل؛ فألقت إيلين نظرة ورأت صناديق لانهائية من أحجيات الصور (البازل) المكتملة. وكلما نظرت إيلين، كانت تشعر بالدهشة والسرور، فالصور التي رأتها، على اختلاف أنواعها، لأطفال يتأرجحون في الحديقة أو لمنظر في فناء مزرعة أو لحفلة عيد ميلاد طفل من الأطفال تختلف عن غيرها من صور الأحجيات المقطوعة الأخرى. وذلك لأن كل هذه الصور كانت حية بالفعل؛ فالأرجوحة كانت تتحرك حقًا للأعلى والأسفل والأزهار وأوراق الأشجار تهتز وتتمايل مع الرياح والبقرات الصغيرة تهز ذيولها لإبعاد الذباب الذي كانت إيلين تعجز عن رؤيته بعينها المجردة والديك يشرئب بعنقه فوق السور ويصيح. والأطفال يتأملون الهدايا في حفلة عيد الميلاد ويلعبون.

وتخيلت إيلين أنها تسمع أصواتهم الحادة وهم يضحكون ويتحدثون سويًا.

وسألها حارس البوابة: "هل لديكِ أحجيات صور مقطوعة كهذه في بيتكِ؟"

فصاحت إيلين: "بالطبع لا". وأخذت نفسًا عميقًا عندما أغلق الرجل الخزانة وقالت: "هل يستطيع كل من يأتي إلى هنا أن يقوم بتركيب وصناعة أحجيات صور مقطوعة كهذه؟".

"بالطبع لا. ففي بعض الأحيان لا تصبح تلك الصور حية عندما ينتهون من تركيبها وينتهي بهم الأمر لإلقائها بعيدًا والتخلص منها. هل ترين كل تلك الأبواب والمداخل؟".

"نعم".

"حسنًا. هناك أشخاص يجلسون في كل تلك الغرف ويقومون بعمل أمور مختلفة".

"وما هي الأمور التي يقومون بعملها؟".

فأشار الرجل إلى إحدى هذه الأبواب وقال: "إنهم يقومون بحياكة الملابس من الهواء الرقيق بعيدًا هناك. ويقومون بعمل سلاسل من النجوم في الغرفة المجاورة لها".

"سلاسل النجوم!".

"حسنًا. إنهم يصيدون تلك النجوم بالشباك من النوافذ ثم يستخدمونها في تزيين التيجان وعمل السلاسل البديعة. وهناك غرفة مخصصة لإعادة صياغة الحكايات المنسية وتحويلها إلى حكايات جديدة".

وصاحت إيلين وهي تصفق بيديها: "حسنًا جدًا. إن هذا هو السبب الذي جئت من أجله. لقد أتيت للبحث عن قصة منسية. هل تعتقد أني سأجدها هنا؟".

"ماذا؟ لا أدري كما أنني لا أستطيع التخمين، ولكن هل ترغبين في إعادة صياغة تلك القصة؟".

"لا. إن كل ما أريده هو العثور على هذه القصة كما هي؛ فقد كانت جدتي تعرف هذه القصة ولكنها نسيتها الآن. وأنا أريد أن أجدها لأذكرها بتلك القصة".

فتردد الرجل قليلًا ثم قال: "حسنًا. أنا لا أدري، ولكن لنذهب ونبحث عنها؛ فأنا بدوري لا أعرف الكثير عن تلك الغرف ولكن لنذهب ونرى بأنفسنا".

كانت غرفة الحكايات المنسية التي اقتاد الرجل إيلين إليها كبيرة للغاية لدرجة أن الفتاة الصغيرة وقفت عند الباب ونظرت من حولها ولكنها لم تر لها نهاية. وكانت هناك عدة جرات ذهبية تصطف على الأرض، وأشخاص

يتحركون بينها ويقفون لأخذ بعض الأغراض منها. وكانوا مشغولين جميعًا ولكن إيلين لم تفهم في بداية الأمر طبيعة ما يقومون به.

وكان هناك امرأة أو فتاة، لم تستطع إيلين أن تحدد هويتها، تقف بجوار الباب، ولكنها كانت تبدو أكثر كامرأة ينسدل شعرها على ظهرها في ضفيرة كثيفة. وكانت ترتدي ثياب بُنيّة منسدلة، وتعقد يديها أمامها. وكانت مستغرقة في تفكير عميق لدرجة أنها لم تلحظ وجود حارس البوابة أو إيلين أو حتى ذكر الإوز الذين كانوا ينظرون إليها.

وفجأة أخذت تبتسم لنفسها وانحنت على إحدى هذه الجِرار وأدخلت يدها فيها ثم أخرجتها وكان بها مادة تشبه الطين المُبلل ولكنها كانت أجمل بكثير من الطين فقد كانت تتلألأ وتلمع بألوان قوس قزح بين أصابعها. وأخذت تُكوِّر وتشكِّل هذه المادة على شكل قُرص وهي تُتَمتم لنفسها برقة تنم عن سعادة صافية.

وانتظر حارس البوابة بضع دقائق ليرى ما إذا كانت ستنتبه لوجوده أم لا، ثم أخذ يضرب الأرض بعصاه العاجية؛ فانتبهت السيدة ذات الهيئة الغريبة على الصوت ونظرت من حولها.

وقال الرجل: "اعذريني يا سيدتي، ولكن هناك فتاة صغيرة أتت للتو وهي تقول إنها جاءت للبحث عن قصة منسية. هل تستطيعين إخبارها بأي شيء عن هذه القصة؟".

وحملقت السيدة ذات الهيئة الغريبة إلى إيلين وقالت: "قصة منسية!". وكررت تلك العبارة ببطء ثم أردفت القول: "إن هذا هو المكان الذي يمكن فيه العثور على القصص المنسية، ولكنها ربما تكون قد تغيرت وأخذت شكلًا آخر. كم مضى من الوقت على تلك القصة المنسية التي تبحثين عنها؟".

فأخبرتها إيلين أن هذه القصة قد مضى عليها وقت طويل منذ أن كانت جدتها فتاة صغيرة.

وهزت السيدة ذات الهيئة الغريبة رأسها ثم قالت: "أخشى أن تكون قد تغيرات وتحولت لشيء آخر، ولكن لا أحد يستطيع أن يعرف؛ فهناك قصص بقيت هنا لسنوات وسنوات عديدة ولكنها لم تتغير، فمثلًا هذه القصة كنت سأبدأ للتو في استخدامها". وكان هناك مادة تتلألأ بين يديها أمام إيلين.

وتساءلت إيلين: "ماذا؟ أهذه قصة منسية؟ أنا لم أعرف من قبل أن القصص تبدو بهذا الشكل".

إن هذا هو جزء من قصة منسية؛ فنحن نقوم بأخذ القصة المنسية وتقسيمها وتوزيعها على جرار مختلفة ونطلق عليها "النادرة العجيبة"، ثم نقوم بأخذ حفنة من هنا وحفنة من هناك عند القيام بعمل قصة جديدة وهكذا تأخذ القصة شكلًا جديدًا مما يجعلكِ لا تعرفين أنها نتاج دمج أجزاء قديمة مع بعضها البعض، ولكن كيف كانت تبدو قصتكِ المنسية هذه؟ هل يمكنكِ إخباري بأي شيءٍ عنها؟

لم تستطع إيلين أن تخبرها بالكثير عن هذه القصة وقالت: "إنها تدور حول أميرة صغيرة تُدعى ذات الخصلات الذهبية[1] وكان لها زوجة أب شريرة جعلتها ترتدي قلنسوة سوداء ولكن الحوريات ساعدن الأميرة. وذات يوم كانت الأميرة ذات الخصلات الذهبية تمشط شعرها في حجرة غسل الأطباق ورأتها زوجة أبيها وجعلتها تقص كل شعرها، ولكنني لا أعرف بقية القصة".

وانخرطت السيدة ذات الهيئة الغريبة في الضحك وأمسكت بجزء من هذه النادرة العجيبة أمام إيلين وصاحت: "لقد جئتِ في الوقت المناسب. لو أنك تأخرتِ قليلًا لكانت ستتحول إلى قصة أخرى، ولكن انتظري قليلًا لنرى إذا كنت أستطيع أن أقوم بجمعها مع بعضها البعض".

اتجهت السيدة نحو الجراء الأخرى وأخرجت حفنات مختلفة من النوادر العجيبة ووضعتها على طاولة من الرخام وأخذت تكورها وتشكلها بمهارة بأصابعها الطويلة والرفيعة. وكلما فعلت ذلك كان هناك شيء ينمو تحت يديها. وكانت إيلين تنظر بانبهار.

في البداية يجب أن نضع تاجًا ذهبيًا على الرأس. وعلّلت السيدة ذات الهيئة الغريبة السبب وقالت: "يجب أن يكون لدينا تاج لأن القصة تدور حول أميرة

1- يمكن للقارئ الرجوع إلى كتاب بعنوان "الأميرة ذات الخصلات الذهبية والوردة العجيبة" (1915) لفلورا سبيلبرج/ **"Princess Goldenhair and the Wonderful Flower"** (1915)

وأسرة ملكية". والخطوة التالية هي أن يكون هناك جسد يرفل في ثوب طويل وفضفاض وبه طوق مزخرف، ثم نقوم بتشكيل يدين وذراعين بيضاوين، وهكذا سنكون قد انتهينا من كل شيء تقريبًا ما عدا القدمين.

بينما كانت السيدة ذات الهيئة الغريبة تحدق في الشكل الذي صنعته إذ بها تتناول جرة لم تمسها بيدها من قبل. وفجأة تغيرت هيئتها وتبددت الضحكة المرسومة على وجهها وأشاحت ببصرها نحو إيلين وتحدثت بصوت حزين ومنخفض وقالت: "يا إلهي، لقد نسيت"، ثم سحبت يدها من الجرة الخاوية.

وتساءلت الفتاة الصغيرة: "ماذا نسيتِ؟".

"لقد نسيت بناء القلعة وفي تلك الحالة لن أتمكن من إنهاء القصة".

"ولكن لماذا؟ لقد انتهيتِ من عمل كل شيء باستثناء القدمين. أعتقد أنكِ تستطيعين بناء القلعة بكل سهولة".

"لا، فكما تعلمين القصة بها ذكر لقلعة، ولذلك فأنا أحتاج لاستخدام جزئية النادرة العجيبة التي ترتبط بالقلاع ولكنني لم استخدمها حتى الآن".

"ماذا تقصدين بالضبط؟".

"لقد شرحت لكِ من قبل أننا نقوم بوضع أجزاء القصة في جرات مختلفة؛ فمثلًا نضع جزئيات النوادر العجيبة الخاصة بالملوك في جرة وتلك الخاصة بالطيور في جرة أخرى والجزئيات الخاصة بالسحر والساحرات في واحدة

أخرى، وهكذا، ولذلك فإن الجزئيات التي ترتبط بالقلاع موضوعة في تلك الجرة. ولقد تذكرت للتو الآن أن زميلتي قامت هذا الصباح بأخذ آخر جزئية ترتبط بالقلاع من تلك الجرة وذلك لبناء قصة أخرى. انظري بنفسك، لقد أصبحت الجرة خاوية".

ونظرت إيلين في الجرة فلم تر شيئًا وقالت: "ألا يمكن أن تستعيضي عنها بأي شيء آخر؟".

فأجابتها السيدة ذات الهيئة الغريبة في الحال: "بالطبع لا. ألا تذكرين أن القصة تبدأ بذكر القلعة التي تعيش فيها الأميرة؟".

وفجأة لاحت لإيلين فكرة الجني والقلعة التي وعدها إياها. وكان ذلك في نفس ذات اللحظة التي قام فيها ذكر الإوز بجذبها من كمها هامسًا: "سيدتي، هل تذكرين القلعة التي وعدكِ بها الجني؟" ولكنها لم تكن تحتاج لأن يذكرها بذلك؛ فقد تذكرت هذا الوعد من تلقاء نفسها.

وسألت السيدة ذات الهيئة الغريبة بارتباك: "إذا ساعدتكِ في الحصول على القلعة، هل ستتمكنين عندها من إنهاء القصة؟".

"بالطبع نعم. ولكن كيف ستجدين تلك القلعة أيتها الطفلة الصغيرة؟".

ونظرت من حولها ثم قالت بهمس: "أعتقد أني أستطيع العثور على واحدة، ولكن من الأفضل أن نتجه نحو الرواق؛ فقد كانت تخشى من أن يرتعب الأشخاص الذين يعملون في المكان عند قيامها باستدعاء الجني.

وقادت الطريق نحو الرواق الفارغ والهادئ ومن خلفها حارس البوابة والسيدة ذات الهيئة الغريبة وكانت الدهشة تملأ قلوبهم.

ومشت إيلين ثم وقفت تحت مركز القبة ونظرت للآخرين وقالت: "لا داعي للخوف، فالجني لن يقوم بإيذائكم"، ولكنها كانت هي بدورها تشعر ببعض الخوف من فكرة استدعاء الجني مرة أخرى، وبالرغم من ذلك فقد أخذت نفسًا عميقًا وصفقت بيديها لثلاث مرات واستدعت الجني للظهور.

ووقع صوت قوي كهزيم الرعد؛ فانكمش ذكر الإوز خلف إيلين وتغيرت وجوه حارس البوابة والسيدة ذات الهيئة الغريبة ودبَّ الرُّعب في قلوبهم. وظهر الجني في الحال وكان ضخم البنية وله هيئة مرعبة أكثر من ذي قبل.

وقال لإيلين: "لقد قمتِ باستدعائي وها أنا في خدمتكِ. هل ترغبين الآن في الحصول على القلعة والكنوز والخدم والفرسان كما وعدتكِ من قبل؟".

فأجابته إيلين بصوت ضئيل ورقيق بالمقارنة بصوت الجني: "لا أريد الكنوز ولا أي شيء سوى القلعة التي أرغب في الحصول عليها الآن".

"إنها ستكون لكِ ولكن أين تريدين أن تكون؟".

فأجابته إيلين وهي تُشير نحو غرفة القصص المنسية: "أريدها أن تكون هناك في تلك الغرفة وبالتحديد داخل جرة ذهبية".

وقطب الجني حاجبيه فقد ظن أن إيلين تسخر منه وصاح مندهشًا: "ماذا؟ في جرة"، ولكن إيلين شرحت له ما حدث والسبب الذي تريد من أجله الحصول

على القلعة؛ فانخرط الجني في القهقهة والضحك بصوت مدوٍ يرج صداه في أرجاء القبة الزرقاء. وصاح: "لقد سمعت عن جني في زجاجة ولكني لم أسمع من قبل عن قلعة داخل جرة، ولكنكِ ستحصلين عليها بالرغم من ذلك. هل لديكِ أمنيات أخرى؟"

فأجابته إيلين: "لا، إن هذا هو كل ما أريده".

"حسنًا، انظري داخل الجرّة وستجدينها هناك، ولكني لن أظهر لكِ مرة أخرى من الآن فصاعدًا".

ووقع صوت قوي كهزيم الرعد وتبدد الجني في الهواء ثم اختفى في الحال. وتخلل الرواق دخان رمادي خفيف سرعان ما تبدد بعد برهة من الزمن وعاد كل شيء لما كان عليه من قبل.

ونظرت إيلين ومن معها إلى بعضهم البعض وكان ذكر الإوز يلتع عنقه ويتلفت حوله وكأنه يريد أن يتأكد تامًا من رحيل الجني.

أخذت السيدة ذات الهيئة الغريبة نفسًا عميقًا ثم بادرت بالقول: "لا أحب أن أراه مجددًا، ولكني أتساءل عما إذا كان قد وضع القلعة داخل تلك الجرة؟".

فأجابتها إيلين: "أعتقد أنه قد فعل ذلك".

وأردفت السيدة ذات الهيئة الغريبة تقول بحماس: "حسنًا، فلنذهب ونرى بأنفسنا".

وأسرعوا جميعًا نحو غرفة القصص المنسية وانكبوا على جرة القلعة. وبكت السيدة ذات الهيئة الغريبة من الفرح فقد كانت الجرة مليئة بقطع من النوادر العجيبة المتلألئة.

ومدّت يدها داخل الجرة وأخرجت حفنات هائلة من تلك النوادر العجيبة وكانت تتلألأ وتلمع. وصاحت تقول: "والآن سأتمكن من إنهاء القصة".

وأخذت تُشكِّل العجين وتكوّره بيديها المرتعشتين في حماس؛ فتشكلت لقصة الحواري قدمين متلألئتين كالفضة بين أصابعها. واكتمل الشكل الذي صنعته وكان على هيئة سيدة ترفل في ثوب لامع ولها تاج على رأسها ولكنها كانت لا تملك عينين للرؤية ولم يكن هناك هواء لتحريك ثوبها الفضي.

وقالت السيدة ذات الهيئة الغريبة لإيلين: "أمسكي بيدها".

وبخجل أمسكت الفتاة الصغيرة بيد السيدة بطلة قصة الحواري. وكانت يدها باردة جدًا ولكنها أصبحت دافئة وناعمة بعد أن أمسكتها بأصابعها.

وقالت السيدة ذات الهيئة الغريبة لإيلين: "تحدثي إليها". وفي البداية لم تعرف إيلين ماذا تقول لها ثم همست إليها وقالت: "هل أنتِ هي بطلة القصة المنسية التي جئت لأبحث عنها؟". وهكذا بدأت الدماء تسري في وجه السيدة بطلة قصة الحواري وأخذت الحياة تدب في عينيها. واستدارت ببطء نحو إيلين ونظرت للأسفل إلى وجهها الذي يملأه الحماس.

وهمست إليها: "هل أنا هي بطلة القصة التي تبحثين عنها؟ انظري في عيني وأخبريني".

وبخجل أمسكت الفتاة الصغيرة بيدها الباردة

وانحنت السيدة نحو الطفلة؛ فنظرت إيلين في عينيها. ويا لجمال تلك العينين البديعتين! فكلما أمعنت إيلين النظر في عينيها، غرقت في بحرهما وفقدت إحساسها بالمكان بل وبالسيدة نفسها.

ولم تستطع أن تتذكر بعد ذلك ما إذا كانت تلك السيدة هي التي تحدثت وحكت قصتها أو أن إيلين هي من قرأت سطور القصة في عينيها أو أن هذه السيدة هي نفسها الأميرة الصغيرة ذات الخصلات الذهبية التي عاشت الأحداث نفسها ولكن تلك السيدة لم تكن سوى قصة الحواري في حد ذاتها.

الفصل الحادي عشر:

« الأميرة ذات الشعر الذهبي »

يُحكى أن هناك ملك وزوجته لم يرزقا بمولود، إلا أنهما كانا يتوقان للأطفال بشدة.

وفي ذات يوم، جلست الملكة بجوار النافذة تحيك الملابس وكان شعاع الشمس ينعكس على الكشتبان الذهبي الذي ترتديه في إصبعها ويدغدغ عينيها بضوء باهر؛ فقالت في نفسها: "كم أتمنى لو أن لدي طفلة صغيرة لها شعر ذهبي تمامًا كلون هذا الكشتبان تحت أشعة الشمس".

وسرعان ما رزقت الملكة بطفلة ذات شعر من الذهب الخالص ولكن الملكة ماتت بعد وضع تلك الطفلة مباشرة.

وكبرت الأميرة الصغيرة وكان شعرها مثار إعجاب الجميع مما جعلهم يطلقون عليها اسم "الأميرة ذات الشعر الذهبي" أو "غولد يلوكس".

كان الملك مأخوذًا بجمال شعر ابنته الذي كان يفوق جماله كل ما لديه من كنوز. ولم يكن هناك شيء أحب إليه من رؤية شعرها الطويل واللامع وهو منسدل على كتفيها كمعطف ذهبي.

وفي ذات يوم خرج الملك في رحلة صيد واشتدت المطاردة مما جعله يتخلف عن الركب ويترك اتباعه وراءه.

وفجأة جلس الخيل على الأرض، ووجد الملك نفسه في فسحة بعيدة ومعزولة. وهناك اعترضت طريقه امرأة جميلة ترتدي ملابس سوداء وكان شعرها أسود اللون كجناح الغراب وعيناها تلمعان بقوة. وظلت تنظر للملك ولكنها لم تنطق ببنت شفه.

ولم ينطق هو الآخر بكلمة فقد كان هناك شيء في هيئتها جعله يشعر بعدم الارتياح بالرغم من جمالها الأخاذ.

وفي النهاية سألها الملك: "من أنتِ؟" ولكنها لم ترد عليه. واستطرد قائلًا: "ومن أين أتيتِ؟"، ولكنها ظلت صامتة ثم هزت رأسها بالموافقة عندما عرض عليها أن تعود معه للمملكة. وجلست أمامه على الخيل وعاد بها للمملكة.

وعاشت المرأة الغريبة في المملكة. وكانت لا تتحدث إلَّا قليلًا؛ فقد كان لها صوت أجش يشبه نعيق الغراب، ولكن الملك أحبها على الرغم من ذلك واتخذها زوجة له.

وعمّت البهجة والسرور أرجاء المملكة فرحًا بهذا الزواج ولكن ذات الشعر الذهبي بكت كثيرًا لخوفها من زوجة أبيها ذات العينين المستديرتين والحادتين.

في البداية كانت الملكة تتعامل بطيبة مع الطفلة، ولكنها بمرور الوقت أصبحت تظهر كراهيتها للطفلة. وكانت تتحدث معها بنبرة غليظة وتنظر لها نظرات حادة. وكانت قبل كل شيء لا تطيق رؤية شعر الأميرة وتنتفض في كل

مرة تراه فيها حتى أنها أجبرت الأميرة على ارتداء قلنسوة سوداء وذلك كي تحجب عنها رؤية شعرها.

كانت الطفلة لا تجرؤ على خلع القلنسوة أثناء اليوم ولكنها كانت تتسلل إلى المطبخ في كل ليلة بعد مغادرة الخدم للمكان وهي تمسك بشمعة وذلك لأن الظلام كان يعم أرجاء الحجرة كما أن الفئران والخنافس كانت تنتشر في كل مكان. وكانت الأميرة ذات الشعر الذهبي تفتح الباب وهي تقول:

"أيتها الفئران الرشيقة التي تخشى النور،

يا خنافس الليل السوداء الصغيرة،

ويا تلك الأشباح التي تحتجب هنا وهناك،

أتوسل إليكم أن لا تخيفوا ذات الشعر الذهبي".

وبعد أن تقول تلك الكلمات تبدأ الفئران والخنافس في الاختباء بهدوء في الأركان وتتوارى الأشباح في الزوايا والمداخل؛ فتخلع ذات الشعر الذهبي القلنسوة وتفرد شعرها وتقوم بتمشيطه حتى أطرافه اللامعة، ثم تربطه مرة أخرى وتغطيه بالقلنسوة قبل أن تعود إلى القلعة.

لم تكن زوجة الأب تعلم بذلك ولكن كراهيتها للأميرة كانت تزيد يومًا بعد يوم حتى إنها أخذت منها كل ما لديها من ملابس جميلة وجواهر صنعها والدها خصيصًا لها وأعطتها بعض الأغراض لترتديها كغيرها من الطهاة.

ولكن الأميرة لم تشتكِ أو تتذمر مطلقًا كما أن والدها لم يفطن لما يحدث حوله. وقد بدى الأمر وكأن تلك الملكة الشريرة قد أصابته بلعنة جعلته لا يرى أو يفكر في شيء سواها.

وفي ذات يوم خرجت ذات الشعر الذهبي لتتجول بعيدًا في الغابة المحيطة بالقصر وذلك للترويح عن قلبها الذي كان مثقلًا بالهموم.

لم تلبث الفتاة أن تسير قليلًا حتى اشتبك معطفها في نبات شائك وتمزق. وأدركت أن زوجة أبيها صاحبة القلب القاسي لن تتوانى عن عقابها مما جعلها تشعر بالخوف عند رؤية المزق ومن مجرد التفكير في الأمر. وألقت الطفلة البائسة بنفسها عند جذع شجرة وأخذت في البكاء.

وفجأة، سمعت صوتًا بجوارها يقول: "لماذا تبكين بحرارة أيتها الأميرة؟".

نظرت ذات الشعر الذهبي من حولها؛ فرأت حوري شاب يقف بجوارها. وكان صغيرًا ويرتدي ثيابًا ملونة باللونين الأخضر والفضي وقبعة على رأسه وقلادة حول عنقه يتدلى منها جوهرة تتلألأ أكثر من الماس.

وحملقت ذات الشعر الذهبي به بدهشة وقالت: "أنا أبكي على معطفي الذي تمزق، وأخشى من عقاب زوجة أبي لي"، ثم عاودت النحيب بمجرد أن أنهت تلك الكلمات.

فشعر الحوريّ بالحزن لأجلها كما لم يشعر تجاه أحدٍ من قبل وقال: "لا تبكي وأنا سأقوم بمساعدتكِ".

وقفز نحو فطر صغير بالجوار وأخذ منه شوكة صغيرة لا تُرى بالعين المجردة وأدخلها في خيوط حرير العنكبوت ووضعها بين يدي ذات الشعر الذهبي. وقال: "والآن تستطيعين لملمة أطراف المزق مع بعضها وحياكتها بهذه الخيوط".

وانحنى الحوريّ أمامها وأمسك بطرف الثوب

ونظرت الأميرة إلى أصابعها وبالرغم من أنها لم تر شيئًا إلَّا أنها شعرت بالخيوط السحرية بين يديها. وبدهشة أخذت تضم أطراف المزق مع بعضها

وتحيكها بالإبرة اللامرئية. وكلما فعلت ذلك كانت أطراف المزق تنضم وتندمج مع بعضها حتى عادت كوحدة واحدة كما كانت.

وعندما انتهت، انحنى الحوريّ أمامها وأمسك بطرف الثوب. وقال: "انظري، لن يستطيع أي أحد أن يرى المزق أو يعرف أن المعطف قد تمزّق من قبل"، ثم اختفى بعد ذلك في لمح البصر.

ونظرت ذات الشعر الذهبي من حولها وهي تحك عينيها. وكانت الغابة هادئة كما هي ولم يكن هناك أي وجود لكائن حي في المكان كطير أو سنجاب. ورفعت طرف معطفها ونظرت ولكنها لم تستطع أن تُحدد مكان المزق. وشعرت بالخوف فجأة، واستدارت ثم ركضت عائدة للقلعة بأقصى ما لديها من سرعة.

وظلت تُفكِّر طوال اليوم في أمر الحوريّ وتتساءل عما إذا كانت قد رأته حقًا ولكنها لم تكن تصدق ما حدث.

وفي اليوم التالي تسللت ذات الشعر الذهبي إلى المطبخ كعادتها وذلك كي تمشط شعرها. وبعد أن تأكدت من عدم وجود أحد بالمكان، خلعت القلنسوة وفردت جدائل شعرها التي كانت تلتف حولها كسلاسل من ذهب. وأخذت تمشط جدائلها وهي تغني:

"يا جدائلي، يا جدائلي

إن أبي هو الملك

وزوجة أبي ذات شعر أسود

كجناح الغراب.

"يا جدائلي، يا جدائلي

التي أجبرتني على ربطها

وجعلتني أرتدي قلنسوة سوداء

لأخفيها عن بصرها".

"يا جدائلي، يا جدائلي

عجبًا لذلك؛ فأنا هنا فقط

أستطيع أن انحي قلنسوتي جانبًا

وأمشط جدائلي دون خوف"

وربطت ذات الشعر الذهبي شعرها البراق بعد أن قامت بتمشيطه ووضعت القلنسوة عليه كي تخفي بريقه ثم أمسكت بشمعتها وكادت أن تغادر المطبخ ولكنها في ذلك الحين سمعت صوت أحدهم وهو يتنهد بحُرقة.

وأمعنت الإنصات ولكن كل شيء من حولها كان ساكنًا وقالت لنفسها: "ربما هذا هو صوت الرياح التي تعوي في الخارج". وهمت بالرحيل ولكنها سمعت صوت النحيب مرة أخرى وأدركت في تلك المرة أنه ليس بصوت الرياح على الرغم من أن الصوت كان قادمًا من الخارج وبالتحديد من وراء باب المطبخ المفتوح على الغابة الخارجية.

وشعرت ذات الشعر الذهبي بالخوف ولكنها لم تتحمل فكرة أن يكون هناك شخص ما في ورطة دون أن تمد له يد العون. واتجهت نحو الباب وأخذت تتنصت وقالت: "من هناك؟".

ولكنها لم تتلق أي إجابة على الرغم من سماعها لصوت أحدهم وهو يبكي بحرقة خلف الباب ثم عاد كل شيء لهدوئه وسكونه.

وكررت ذات الشعر الذهبي سؤالها: "من هناك؟ إذا كان هناك شخص ما في ورطة فليتحدث".

ولكنها لم تتلق أي إجابة أيضًا هذه المرة وسمعت بدلًا من ذلك صوت تنهيدة ينفذ إلى القلب؛ فلم تتوان للحظة واحدة عن فتح الباب.

وكاد تيار الهواء أن يطفئ شمعتها؛ فطوقتها بيدها لتبقى مشتعلة. ورأت على ضوئها نفس ذات الحوريّ الذي سبق وأن رأته في الغابة وهو يجلس خلف الباب.

ونظرت الأميرة في اندهاش وقالت: "لماذا أنت هنا؟" "هل أتيت لتبحث عني؟".

وتنهد الحوريّ ثم قال: "واحسرتاه! يا ليتني لم أركِ مطلقًا".

فقالت الأميرة: "لماذا تقول ذلك؟".

"لأنني لو كنت لم أركِ في الغابة وأنتِ تبكين في ذلك اليوم لما كنت لأكسر قوانين الحور وأعلمكِ كيف تصلحين ثوبك بالسحر تمامًا كما يفعل الحور

وحدهم. وهذا هو السبب الذي جعلهم يطردونني من بلاط الحور وجعل الحزن يلم بي. والآن لم يعد أمامي سوى الرحيل في هذا العالم القاسي والواسع بعد أن أصبحت طريدًا حتى تنتهي العقوبة التي فرضتها عليّ ملكة الحور".

وعندما سمعت ذلك ذات الشعر الذهبي شعرت بارتباك كبيرة وأحست حقًا أنها السبب في كل ما حدث معه.

وسألته بصوتٍ مرتعش: "وما هي العقوبة التي فُرضت عليك؟".

"العقوبة هي أن أقوم بنسج شبكة من الذهب المسحور وذلك كي تقع في حبائلها الساحرة الشريرة التي تتجول في هذه الغابة وتسببت في إظلامها منذ زمنٍ طويل بسبب تلك التعويذات الشريرة. والآن لقد وقع على عاتقي مهمة طردها من الغابة".

"ولكن هل العثور على هذا الذهب المسحور صعب ومستحيل إلى هذا الحد؟ كما أنك كحوريّ تعرف بالتأكيد أين تجده".

"بالرغم من أن سنوات عمري تقارب عمر تلك الأشجار العتيقة إلا أنني لم أر ذهبًا مسحورًا كهذا من قبل".

وأنا لا أعرف شيئًا سوى ما قالته لي الملكة وهو أنه نوع من الذهب:

"يتوهج وينطفئ في نفس ذات الوقت، ولا يُستخرج من باطن الأرض ولا من أعماق البحار، وهو أرق من الحرير وأقوى من الحديد".

"هو ذهب يتوهج وينطفئ في نفس ذات الوقت، ولا يُستخرج من باطن الأرض ولا من أعماق البحار، وهو أرق من الحرير وأقوى من الحديد".

وفجأة صاحت الأميرة من الفرح وهي تُحدث نفسها بصوتٍ منخفضٍ. ووضعت يدها على فتيل الشمعة وخلعت القبعة من على رأسها وفردت شعرها الذي كان يتلألأ من حولها على ضوء الشمعة وقالت: "انظر جيدًا. إنه ليس بذهب مسحور، كما أنه يتوهج وينطفئ في نفس ذات الوقت. وهو لا يُستخرج من باطن الأرض ولا من أعماق البحار. وبالرغم من كونه أرق من الحرير إلَّا أن كل المطارق في هذا العالم لا تقدر على قطع جديلة منه".

وصاح الحوريّ بصوتٍ عالٍ في دهشة وإعجاب: "إن هذا الذهب المسحور هو شعركِ بكل تأكيد".

فقالت ذات الشعر الذهبي: "حسنًا، فلتأخذه وتنسج منه الشبكة".

وأخرجت بيديها المرتعشتين مقصًا كان لوالدتها من جيبها. وأمسكت به وأخذت تقص الجديلة تلو الأخرى؛ فسقطت جدائل شعرها البراقة عند أقدام الحوريّ وتجمعت في كومة لامعة.

وصاح الحوريّ: "هذا كافٍ جدًا".

وقالت الأميرة: "حسنًا، هيا بسرعة فلنقوم بنسج الشبكة".

فرد عليها الحوريّ: "لا داعي لذلك؛ فهناك طريقة أسرع من ذلك بكثير . وأخرج عصا الحور من جيبه. وأخذ يضرب خصلات الشعر البراقة برشاقة وهو يقول:

"فلتجتمعي أيتها الخصلات الذهبية المسحورة ولتتحولي إلى شبكة مغزولة ومنسوجة".

وبفضل تعويذته السحرية التفت الخصلات الحريرية حول نفسها حتى أصبحت على هيئة شبكة ذهبية مغزولة ومنسوجة.

وفجأة سمعت الأميرة صوتًا عند باب المطبخ؛ فاستدارت ونظرت خلفها؛ ورأت الباب مفتوحًا على مصراعيه. ووجدت زوجة أبيها تقف عند الباب وتحدق بها بنظرات شريرة ومن خلفها زوجها الملك.

وصاحت الملكة وهي تشير إلى ذات الشعر الذهبي: "أنظر بنفسك. أليست كما أقول لك؟ إن هذه الفتاة تعرف أنني لا أطيق رؤية شعرها وأنني أعطيتها هذه القلنسوة لتضعها على رأسها حتى لا أراه ومع ذلك فهي لا تكف عن الهروب وتمشيط جدائلها وحبك التعويذات الشريرة".

وكان الملك واقعًا تحت تأثير سحر الملكة الشريرة التي جعلته ينفذ كل ما تأمره به، فصاح بغضبٍ: "كيف تجرؤين على حبك تعويذاتك الشريرة ضد الملكة؟".

وانخرطت ذات الشعر الذهبي في البكاء بحرقة: "وا أسفاه! أنا لا أمارس السحر. وكل ما في الأمر أنني ظننت أن اختبائي هنا سيجعل الملكية لن تراني وأنا أمشط شعري".

وفجأت لمحت زوجة الأب المقص الذي تركته ذات الشعر الذهبي على الأرض؛ فانحنت لتلتقطه ثم قالت: "بما أنك لا تستمعين لما أقول؛ فلم يبق

أمامي سوى حل واحد وهو أن أقص شعركِ حتى آخر خصلة ليكون بمحاذاة رقبتكِ تمامًا".

وفي تلك اللحظة تقدَّم الحوريّ الذي كان مختبئًا في العتمة للأمام. وكان يشعّ نورًا في عتمة المطبخ ثم صاح: "لا داعي لذلك؛ فأنا أعرفكِ أيتها الساحرة الشريرة كما أن الشبكة مغزولة وجاهزة للقبض عليكِ وإنهاء تعويذاتكِ الشريرة".

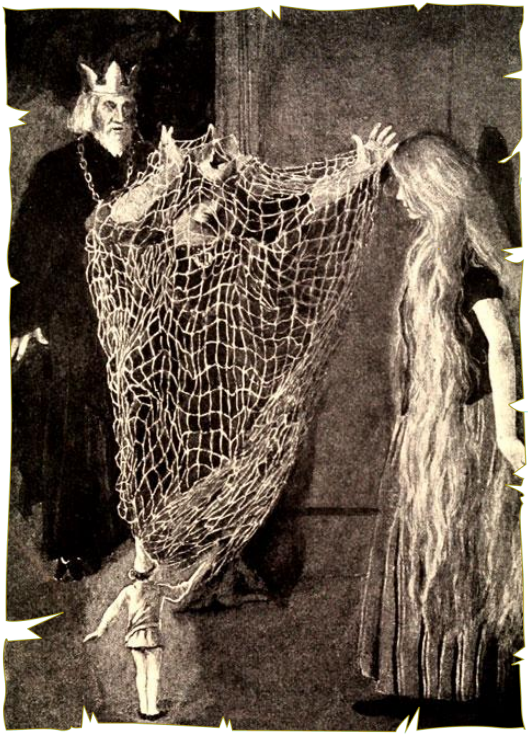

وأمسك الحوريّ بعصاة السحرية وأشار بها نحو الملكة

ورجعت الملكة للوراء وصاحت بصوتٍ أجشٍ وأخذ الحوريّ الشبكة من على الأرض وألقاها عليها؛ فقاومت الملكة ولكن دون جدوى فقد أحاطت بها الشبكة من كل اتجاه.

فصاح الملك: "ما هذا؟ ما الذي يحدث؟" ولكن الملكة لم تجبه وأصدرت صوتًا يُشبه نعيق الغراب.

وأمسك الحوريّ بعصاه السحرية وأشار بها نحو الملكة وصاح: "يا أيتها الملكة اللعينة، بحق قوة هذه الشبكة السحرية، فلتعودي إلى شكلكِ الحقيقي". ومن ثمّ فقد تحولّت الملكة من امرأة إلى غراب أسود كبير له منقار محدب وعينين حادتين. وللوهلة الأولى أخذ يقاوم داخل الشبكة ثم حلق واختفى في الغابة السحيقة وهو يجر الشبكة خلفه وينعق بصوتٍ أجشٍ".

وقال الحوريّ: "فلتذهبي أينما شئتِ؛ فإن أي شيءٍ تقومين به سيكون بلا جدوى".

وفجأة سمعوا أصداء موسيقى تصدح. وفاض نورورديّ في أرجاء المطبخ.

وصاح الحوريّ: "لقد جاؤوا، لقد جاؤوا لأخذي". وكان وجهه يعج بالنور من شدة الفرح. وبعد هنيهة وقفت الملكة بجواره وكان معها حشد هائل من الحور الحاضرين.

وانحنى الحوريّ المعاقَب على ركبتيه أمام الملكة ولكنها سمحت له بالوقوف بلطفٍ.

وقالت الملكة: "لقد أنهيت مهمتك على أكمل وجه. وخلصت الغابة من السحر الأسود الذي حلّ بها. والآن يمكنك العودة إلى بلاط الحور وستكون خادمي المفضل وتابع لي في موكبي".

فانحنى الحوريّ على ركبتيه مرة أخرى أمام الملكة وقبَّل يدها.

ونظرت الملكة إلى ذات الشعر الذهبي وقالت: "وأنتِ يا صغيرتي، لقد عانيتِ كثيرًا هنا. اتركي كل شيءٍ وراءك وبلمسة من عصاي السحرية ستصبحين حوريةً مثلنا تمامًا".

ولكن الملك استعاد حبه السابق لابنته الصغيرة مع انتهاء التعويذة الشريرة التي أصابته. ونظر للأمام وقال: "يا ذات الشعر الذهبي، أرجوكِ لا تتركيني".

فقالت ذات الشعر الذهبي للحور: "لا. إنه والدي ولا أستطيع أن أتركه وحده حتى لا يشعر بالوحدة بدوني. وعندئذ رحلت الملكة على الفور".

وصاح الحور: "حسنًا، وداعًا. وداعًا يا ذات الشعر الذهبي. يجب أن نعود إلى الغابة فقد تسكعنا بما يكفي". وبمجرد أن انتهوا من تلك الكلمات، اختفوا جميعًا وتوقفت الموسيقى وغاب الضوء معهم.

ومنذ ذلك الحين لم يظهر الحور مرة أخرى في القلعة، ولكن الأميرة كانت تذهب إليهم في الغابة لتشاركهم في حلقات الرقص. وكانت تسمعهم وهم ينادون عليها من بين الزهور أو شجيرات السرخس؛ فقد كانوا لا يختبئون منها كما يفعلون مع الآخرين.

ومضت الأعوام. وتقدَّم العديد من الملوك والأمراء لذات الشعر الذهبي يطلبون يدها للزواج ولكنها لم تقبل أيًّا منهم.

ومات الملك العجوز في النهاية. وفجأة ظهر في البلاط الملكي شاب طويل القامة وكان نبيلًا وذي جمال آسر. وكانت ذات الشعر الذهبي هي الوحيدة التي تعرف أن هذا الشاب هو حوريّ الغابة الذي تحول إلى إنسان من أجلها.

وأحبته، فطلب يدها ثم تزوجوا وحكموا المملكة في أمانٍ تامٍ وسلام.

الفصل الثاني عشر:

« العودة للبيت »

ونظرت إيلين من حولها؛ فوجدت نفسها لا تزال موجودة في الغرفة الذهبية بمنزل غريبي الهيئة ومن أمامها قصة الحواريّ وهي تنحني إليها بوجهها الباسم وعينيها المتلألأتين. وكان هناك أيضًا ذكر الإوز والسيدة ذات الهيئة الغريبة.

وقالت السيدة ذات الهيئة الغريبة: "أهذه هي القصة؟".

فصفقت إيلين بيديها وصاحت وهي تنظر إلى وجه قصة الحواري: "يا إلهي! نعم إنها هي".

"أنا متأكدة تمامًا من أنكِ هي؛ فقد حكيتِ لي عن ذات الشعر الذهبي والقلنسوة السوداء وكل شيء. والآن ستبقين في أهبة الاستعداد، أليس كذلك؟".

فأجابتها القصة: "نعم بالتأكيد، كما أنني سأعود معكِ للبيت".

وصاحت إيلين طربًا ثم أمسكت بيد القصة ووضعت يدها الملساء والبيضاء على خدها وقبلتها برقة.

وتساءل ذكر الإوز: "ولكن ماذا عن الأغنية؟".

"حسنًا، يا إلهي! لقد نسيت تمامًا أمر تلك الأغنية". وشرحت إيلين للسيدة ذات الهيئة الغريبة كيف أنها قطعت عهدًا للأم إوزة بأن تجد لها تلك الأغنية المنسية

التي تبحث عنها. وبالرغم من أن الطفلة لم تستطع أن تخبر السيدة ذات الهيئة الغريبة باسم تلك الأغنية المنسية إلَّا أنها أخذت تشرح لها عن ماذا تدور.

وفطنت السيدة ذات الهيئة الغريبة للأغنية التي تقصدها الطفلة. وقالت: "حسنًا، يا إلهي! ستكون ملكًا لكِ ولكن عديني أنني إذا أعطيتكِ إياها أنكِ ستتغنين بها بين الحين والآخر عند عودتكِ للبيت".

فوعدتها إيلين بذلك بالطبع.

وانحنت السيدة ذات الهيئة الغريبة على جرة وأخذت منها بعضًا من النوادر العجيبة. وبدأت تعجن وتلف العجين وتسحبه حتى انتهت من عمل الشكل النهائي الذي تريده ووضعته على الأرض. كان بطل تلك الأغنية القصيرة ذي هيئة مضحكة، فهو يرتدي معطفًا بحزام وقبعة مُدببة وترتسم على وجهه المُمتلئ والمستدير ابتسامة عريضة.

وصاح ذكر الإوز: "واك واك! لقد عاد من جديد".

ورمش بطل الأغنية بعينيه ونظر من حوله ثم تحدث وهو يبتسم ابتسامة عريضة.

"مرحبًا! أعتقد أنني كنتُ منسيًا، أليس كذلك؟ ولكن أحدهم جلبني من جديد. حسنًا، إن هذا هو ذكر الإوز العجوز، وهو يبدو تمامًا كما هو، ثم ركض نحوه وأمسك بلجام ذكر الإوز متسائلًا: "هل تسمح لي بالركوب؟".

"نعم، كما أنني سأصطحبك في رحلتي".

"يا إلهي! هذا جيد جدًا. وبدأ بطل الأغنية يقفز للأعلى والأسفل وكأن أطراف قدميه مصنوعتين من المطاط".

وشعرت إيلين بالقلق وقالت وهي تنظر لقصة الحواريّ: "ولكن كيف سنعود سويًا فأنا لا أعتقد أن ذكر الإوز يستطيع أن يحملنا جميعًا على ظهره".

فأجابها ذكر الإوز: "يا إلهي! ولماذا تسافرين على ظهري؛ فالرحلة طويلة جدًا. وهناك طريقة للعودة أسهل بكثير".

فقاطعته السيدة ذات الهيئة الغريبة وقالت: "نعم، هناك طريقة للعودة أسهل بكثير حتى إنني أستخدمها أحيانًا في العودة للديار دون أدنى مجهود".

فتساءلت إيلين: "أتفعلين ذلك حقًا؟"، ولكن هل يتوجب عليكِ عندئذ أن تقطعي كل ذلك الطريق الطويل عند العودة إلى هنا من جديد؟".

"لا، فالمسافة هي أقصر بكثير عندما تعرفين الطريقة، حتى إنني أعود أحيانًا في لمح البصر. والآن ضعي أذنكِ على الحائط واستمعي جيدًا".

وضعت إيلين أذنها على الحائط الذهبي. وأخذت تشهق بانبهار وهي تستمع لأصوات والدتها والخياطة وهن يتحدثن بهدوء في غرفة الخياطة.

وبدأت الأصوات تخفت بوضوح؛ فاتكأت إيلين على الحائط أكثر علّها تلتقط الأصوات من جديد. وفي خلال لحظات بدأ الحائط ينصاع لحملها وأصبحت في قلب الحائط تمامًا كما لو أنها داخل عاصفة ثلجية.

ووضعت إيلين أذنها على الحائط الذهبي

وأخذت تمد يديها لتحمي نفسها؛ فأمسكت بإحدى أرفف خزانة الكتب الصلبة والمتينة. وأدركت أنها عادت إلى غرفة الأطفال التي تعرفها في بيتها. ونظرت من حولها؛ فلم تر شقًا في الحائط أو السقف يدل على رحلتها. وصاحت بصوتٍ منخفضٍ وأدخلت يديها بين أرفف الكتب، فلم تلمس شيئًا بيديها سوى الحائط الصلب والبارد، كما أن أوراق العنب المطبوعة على ورق الحائط ظلت ثابتة ولم تتحرك بين أصابعها الشغوفة.

وابتعدت إيلين عن خزانة الكتب؛ فرأت خيال قصة الحواريّ يقف في منتصف الطريق بينها وبين النافذة. وكانت على دراية تامة أنها رأته وهو يبتسم ويلوح لها بيده قبل أن يتلاشى تمامًا كما يتلاشى البخار على لوح الزجاج.

وصاحت إيلين: "يا قصة الحواريّ الحبيبة، أين أنتِ؟" ولكنها لم تتلق أي إجابة.

وانتظرت للحظة ثم أعادت القول بهمسٍ: "يا قصة الحواريّ".

وظل المكان ساكنًا.

وفتحت الفتاة الصغيرة باب الغرفة وركضت للأسفل بأقصى ما لديها من سرعة نحو غرفة الحياكة وهي تُنادي: "أمي، أمي".

واقتحمت الغرفة التي تعمل بها والدتها مع الخياطة بهدوءٍ كإعصار صغير وألقت بنفسها في حجر والدتها وصاحت بحماس: "لقد مررت يا والدتي بأكثر الأوقات إثارة وتشويقًا. وبالطبع فإنكِ لن تدركي أبدًا أين كنت".

وقالت الأم: "اهدئي؛ فأنتِ تعيقين عملي ولكنكِ يا صغيرتي تبدين حقًا في غاية الحماس!".

ووضعت إبرة الحياكة جانبًا وأجلست الطفلة على حجرها ثم قالت: "والآن أخبريني ماذا كنتِ تفعلين؟".

فاحمرت وجنتي إيلين وبدأت تحكي لوالدتها دون أن تلتقط أنفاسها عن رحلتها إلى منزل غريبي الهيئة والمغامرات العجيبة التي مرّت بها.

وأصغت الأم لابنتها بدهشة وقالت: "يا له من حُلم جميل حقًا".

"ماذا؟ حلم. إنه لم يكن حلمًا يا أمي، بل كان حقيقة، ولقد رأيت عند عودتي قصة الحواريّ، تلك القصة المنسية نفسها، وكما تعلمين، لا يمكن أن يكون كل ذلك حُلمًا".

"ولكن يا حبيبتي إن كل ما ذكرتيه لا يعدو أن يكون حلمًا".

"حسنًا. انتظري يا أمي وسأنزل للأسفل وأذهب إلى جدتي وأقصّ عليها كل ما سمعت، وإذا كان مطابقًا لنفس تلك القصة فسيكون كل ما حدث معي واقعيًا".

"حسنًا جدًا. ولكن انزلي بهدوء فربما تكون جدتكِ لم تستيقظ بعد من غفوتها".

وأخذت إيلين تتلصص على جدتها عبر باب الغرفة فرأت السيدة العجوز وهي تجلس على الكرسي الهزاز بمحاذاة النافذة وتغزل.

فاستأذنت وقالت: "هل أستطيع الدخول؟".

"نعم بالطبع، تفضلي يا عزيزتي كلارا فقد كنت أتساءل للتو أين ذهبتي أنتِ والأطفال الآخرين؟".

وسحبت الطفلة مقعدًا صغيرًا ثم جلست بمحاذاة ركبتي جدتها، وقالت بنبرة هادئة: "جدتي، أعتقد أنني أعرف الآن ماذا حدث للطفلة ذات الشعر الذهبي. هل أخبركِ بالقصة؟".

"نعم، تفضلي يا عزيزتي".

وحكت إيلين لجدتها قصة "ذات الشعر الذهبي".

وكانت الجدة تستمع وهي تومئ برأسها وتبتسم، وبعد فترة وجيزة شعرت بالحماس فرفعت نظارتها الطبية على رأسها.

"نعم، نعم. إنها هي بالتأكيد. لا أحد يذكر هذه القصة بعد الآن ولكنها هي نفس ذات القصة التي سمعتها في طفولتي".

فصاحت الطفلة صيحة النصر: "حسنًا إذًا. إن كل ما عشته كان حقيقيًا. لقد وجدت بالفعل منزل غريبي الهيئة ورأيت كيف يختلقون القصص".

"أها، لقد عرفت إحداهن ذات مرة. كانت فتاة جميلة تعرف كيف تختلق القصص بل والأشعار أيضًا وكان ذلك منذ زمن طويل".

"وهل أطلعتكِ على كل ما يدور في منزل غريبي الهيئة وحكت لكِ عن الجرار الذهبية؟".

ولكن الجدة هزت رأسها وقالت: "لقد نسيت، فقد حدث ذلك منذ زمن طويل يا صغيرتي كلارا. وأنا الآن امرأة عجوز، طاعنة في السن".

وتمتمت الطفلة لنفسها: "لقد كنت أعرف أن ذلك لم يكن حُلمًا". وكانت تشعر وهي تجلس بجوار ركبتي جدتها بوجود قصة الحواريّ وأنها تبتسم لهن بالرغم من أن لا أحد يستطيع رؤيتها.